تاريخ الجاسوسية الصهيونية

الكتاب الوثيقة

* ساره أرنسون !
* روزا مرتخاي !
* في خدمة المخابرات !
* محاولة اختطاف
* اعلان الحرب
* استخدام الحمام الزاجل

دار الكاتب العربي
دار الشوّاف للنشر

تاريخ
الجاسوسية الصهيونية
في سوريا ولبنان وفلسطين



الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

ساره ارنسون

مستقـــاة من اوثـــق المصـــادر

في ملفات الاستخبارات العثمانية

ليس بين من رافقوا سنوات الحرب العالمية الاولى من يجهل (سارا ارونسون) ، فلم تكن حفلة راقصة تقام في قصر من قصور بيروت الكبيرة الا وتكون سارا النجمة المتألقة فيها .

ولم يكن (احمد جمال باشا) يحضر الى بيروت الا وترى سارا تقدم الى الكبراء والعظماء .

فسارا ترقص اليوم مع (احمد جمال باشا) في احد قصور الحي السرسقي ، وغدا يقيم لها (عبد الرحمن باشا اليوسف) مأدبة في دمشق.

وكان الجميع يتسابقون لخطب ود (سارا) اعتقادا منهم بأنها سيدة سيد البلاد (احمد جمال باشا) . ولما لها من الجمال والملاحة والخفة .

ولكن هل كانت سارا عشيقة جمال باشا حقا ؟..

كانت سارا يهودية صهيونية تعاطت الجاسوسية لغاية خبيثة وهي العمل في سبيل الوطن القومي اليهودي في فلسطين ولو على اشلاء شعبها العربي النبيل .

وكانت تعتقد انه لا يمكن تحقيق هذا المشروع الاستعماري الا اذا خرجت تركيا من فلسطين ، فراحت تسعى في هذا السبيل الى ان رأت السلطنة العثمانية تسير الى الاضمحلال !.

وقبل ان نأتي على تفاصيل الاعمال التي قامت بها سارا في البلاد ، نرى ان نذكر لمحة عن تاريخ اسرتها :

● الهجرة اليهودية

على اثر المذابح التي ارتكبها الرومانيون في اواخر القرن التاسع

عشر ضد يهود تلك البلاد اخذ اليهود يفكرون في ايجاد ملجأ لهم وشرعوا يهاجرون الى فلسطين •

وفي سنـــة ۱۸۸۰ ألـّف (لوواتنان) و (واينبرغ) و (هابسمان) الذين هم من التابعية الروسية و (هابغسن) البولوني ، جمعية اخذت على عاتقها مهمة بث الدعاية الهجرة الى فلسطين • وفي سنة ۱۸۸۱ تمكن هـؤلاء بواسطة المهاجرين الذين تمكنوا من جلبهم مـــن انشاء قرية (ريشون لزيون) في ارض فلسطين •

وفي سنة ۱۸۸۳ الفت فئة اخرى من يهود رومانيا جمعية مـــن عشر عائلات اشترت اراضي لها في جوار حيفا وانشأت فيها قرية (زمارين) ، او بحسب اصطلاح اليهود (زيكرون جاكوب) التي هـــي مسقط رأس ســـارا •

وانصرفت هاتان الفئتان من المهاجرين اليهود الى العمل في اراضي فلسطين ، ولكن جهلهما مركز البلاد الطبيعي جعلهما في حالة من الحاجة والفقر وسرعان ما انتشرت فيهما الفاقة والامراض ، واضطر القسم الكبير منهما الى العـــودة •

ولما لمس زعماء الصهيونية هذه النتيجة التي صار اليها اليهود خافوا ان لا تثمر هذه النواة التي وضعوها للوطن القومي الصهيوني ، فقرروا الاستنجاد بأغنياء اليهود في العالم ، وعلى الاثر ارسلوا وفدا الى اوروبا وذلك في سنة ۱۸۸۷ ، فتولى هذا الوفد تحريك شعور اغنياء اليهـــود وفي مقدمتهم البارون الصهيوني (ادمون دي روتشلد) الذي وافق على هذا التدبير ، واوفد مندوبين من قبله مزودين بالصلاحية اللازمة وبالاموال الوفيرة لاغراء اليهود بالاقامة في فلسطين !•

● عائلة ارونسون

وفي سنة ۱۸۸۹ جاء (جاك ارونسون) الى (زمارين) او (زيكرون

جاكوب) كوكيل لروتشلد حاملا معه الاموال الوفـــيرة والاعتمادات الطائلة ، وراح يسعى لتعمير هذه المنطقة وازدهارها وقد انفق في هـــذا السبيل ، هو وزوجته الشابة ، اموالا طائلة الى ان استعمر هذه القريـــة ، وكان نصيب عائلة (ارونسون) اراض شاسعة واملاك وافرة ، وما كادت تحل سنة ١٩١٤ وتعلن الحرب العالمية حتى كانت عائلة (ارونسون) من اكبر واغنى العائلات اليهودية في فلسطين .

وكان ارونسون الاب في ذلك الوقت متمتعا بثقة الصهيوني(ادمون دي روتشلد) والجمعيات الصهيونية ، وينظر اليه على انه في مقدمـــة مؤسسي الوطن القومي الصهيوني . كما انه كان في مقدمة الذين يثق بهم الترك ويستخلصونهم !..

ورزق (جاك ارونسون) خمسة اولاد ، هم حسب تاريخ ولادتهم : ارون (او هارون) ارونسون ولد سنة ١٨٨٦ ، وسام ارونسون ولـد سنة ١٨٩١ ، وسارا ارونسون ولدت سنة ١٨٩٣ ، وروبيكا وقد ولدت سنة ١٨٩٧ .

وولد معظم هؤلاء في (زمارين) وتلقوا علومهم الابتدائية فيها ، الا ان والدهم عاد فبعث بهـم الى اوروبا حيث تلقوا علومهم العـــالية في جامعاتها واصبحوا من كبار العلماء رغم حداثة سنهم .

فآرون ارونسون شقيق (سارا) الاكبر كان من كبار علماء النباتات ليس في فلسطين وحدها فحسب ، بل في العالم ؛ وله عدة مؤلفات ترجمت الى اللغات الاجنبية وكانت تدرس في المعاهد الزراعية في كثير من انحاء العـــالم !!.

وقد جاب هذا العالم الزراعي جميع انحاء البلاد العربية، وهو الذي أكتشف « القمح البري » الذي ينبت منذ بدء الخليقة وبدأ بزراعتـــه

وتنميته وقد وجد هذا القمح في اعالي (جبل الشيخ) بلبنان ، وسجل اسمه في هذا الاكتشاف في الانسيكلوبيديا الانكليزية ، وسجل اسمه ايضا بأنه مكتشف « اللوز البري » في اعالي جبال (قاسيون) بسوريا!•

وقد انشأ مختبرا زراعيا كبيرا في قرية (عتليت) بفلسطين كان يعد أعظم مختبر انشيء في ذلك العهد في السلطنة العثمانية !••

● في خدمة الانتلجانس سرفيس

ومع انصراف هذا الرجل الى الشؤون الزراعية ودرس مختلف النباتات كان من اكبر جواسيس الصهيونية والانكليز ، وقد ادى خدمات كبرى لليهود والانكليز معا !•• ولما نشبت الحرب العالمية غادر فلسطين الى انكلترا حيث التحق بخدمة (الانتلجانس سرفيس) وأدى خدمات كبرى للصهيونية والانكليز ، ولما انتهت الحرب العالمية وتقرر حل القضية الفلسطينية في مؤتمر لندن غادر باريس على احدى الطائرات الى لندن ليدافع عن القضية الصهيونية فكان نصيبه الموت اذ سقطت به الطائرة وقتل !!•

واليكسي او (اليك) كما كان يعرف في ذلك الوقت كان خطيبا وداعية صهيونيا ومهمته الاساسية العمل على خدمة(الانتلجانس سرفيس) قبل الحرب العالمية ، الا انه كان يتظاهر بأنه معلم مدرسة فيطوف بين زمارين وملبس والحضيرة لالقاء المحاضرات على الشبيبة اليهودية مرة في كل قرية خلال اسبوع واحد ، وكان يطوف في المناطق الاخرى عند الضرورة !••

● ••• وهذه ساره ارونسون !

اما (سارا ارونسون) فكانت فتاة جميلة الصورة بديعة التكوين،

ولو كان في ذلك الحين معارض للجمال كما هي الحالة في هذه الايـــام لانتخبت ملكة للجمال في العالم !..

وهي عدا الجمال الخلاب الذي تحلت به كانت على جانب عظيم من طلاوة الحديث وخفة الروح تحسن اللغات العبرية والعربيـــة والفرنسية والالمانية والانكليزية والايطالية والروسية !!.

وكانت في الوقت نفسه ولوعة بالعلوم الزراعية والنباتية ، وشريكة لشقيقها آرون في المختبر الزراعي الذي يديره في قرية (عتليت) ، وكان الجميع يحبونها ويحترمونها ويطيعونها ليس والدها واشقاؤها فحسب بل جميع يهود (زمارين) والقرى اليهودية المجاورة لها !..

وكانت (سارا) حرة في الذهاب الى حيث تريد ، ولم يكن لاشقائها الا الاذعان لارادتها والعمل بمشيئتها !..

و (روبيكا) كانت تمثل في هذه العائلة ربة المنزل ؛ فهي لم تتدخل كوالدها وشقيقها سام ، في الادوار السياسية التي مثلها آرون واليكسي وسارا ، بل ابتعدت عن هذه الامـــور جميعها لتنصرف الى ادارة شؤون المنـــزل !!.

★

والحكومة العثمانية كانت تجهل حقيقة مهمة هذه الاسرة ولا تعرف عن افرادها الا انهم مـــن المهاجرين اليهود الذين جاؤوا الى البـــلاد واستوطنوها ، وكثيرا ما كانت تستعين بخبـــرة آرون وشقيقته سارا في مختلف الامور الزراعية، وبذلك كانت تترك لهم المجال الكافي لان يوسعوا منطقة نفوذهم ، وان يحصلوا على المعلومات السياسية التي يرونها لازمة لمصلحة الاستخبارات الانكليزية !!.

★

ومصلحة الاستخبارات الانكليزية ، كانت قبل الحرب العالمية بقليل

بحاجة الى معلومات جديدة عن اسرار باديـة سورية ، فخابرت سارا !..
وكرر هذا الامر البارون دي روتشلد الذي اعلمها ان مصلحة الصهيونيـة توجب ذلك . فوافقت على هذا الامـر وراحت تبحث عن شخص قوي يمكنها ان تعتمد على مكانته في سبيل الدفاع عن نفسها ، فوجدته اخيرا في شخص (نور الدين بك ب.) !!.

● نور الدين وساره !

و (نور الدين بك ب.) من اثرياء بيروت ، وهو شاب متعلم يحسن عدة لغات ومن هواة الآثار ، يصرف وقته وثروته على جمع ما يطيب له من الآثـار القيمة !!.

ذهب في ذلك الوقت الى فلسطين ومر على عتليت لمشاهدة قلعتهـا التاريخية ، فتعرف هناك الى آرون ارونسون الذي دعـاه الى داره في زمارين وقدمه الى افراد العائلة ، وهناك دار حديث بين افراد هذه العائلة ونور الدين بك حول الآثار واماكنها !..

وخاضت سارا في الحديث بطلاوة « اسكرت » نور الدين ، وقـد اظهرت له رغبتها في زيارة سوريا وصحراء سوريا، وقبائل سوريا، لمشاهدة النباتات الغريبة الموجودة فيها ، ومتابعة الاكتشافات النباتية التي قام بهـا شقيقها آرون !!. فصدق نور الدين روايتها هذه ، لا سيما ان شقيقها عالم النبات كان قد اشتهر في ذلك الوقت بعد اكتشافاته ، فشجعها على متابعة ابحاثهـا !!.

فسألته الآنسة سارا : أيوافق على اصطحابها في هذه الرحلة ؟!.

وسارا التي لم تكن في ذلك الوقت قد بلغت العشرين من عمرهـا تغري الزاهد فكيف بنور الدين وهو شاب في ربيع الحياة ؟ فان رفقة مثل

(سارا) في البراري والقفار من الامور التي تلذ مهما كانت المخاطر، ولهذا وافق فورا على هذه الرحلة التي كانت مرضية للفريقين ، لسارا لانها برفقة شاب مسلم عريق في الحسب والنسب ، سيسهل لها كل سبيل ويجعلها في مقدمة الناجحات في تحقيق مهمتها !•• ولنور الدين لانه رأى بمرافقة مثل هذه الفتاة الجميلة سعادة لم يحلم بمثلها يوما !!•

● ساره في سوريا

طافت سارا في بادىء الامر برفقة نور الدين بك جهات حوران وجبل الدروز خطوة فخطوة فكانت تدرس النباتات الغريبة درسا دقيقا وتنصرف في الوقت نفسه الى درس كل منطقة تمر بها درسا أدق من الوجهتين العسكرية والسياسية ، فتسجل كل هضبة تمر بها ، وكل بئر تراه ، وكل منطقة خالية من الآبار ، ونفوذ كل زعيم في قرينه، ومركز كل قبيلة ومقدار نفوذها ، وتجتمع بكل زعيم من الزعماء وبكل شيخ من مشايخ القرية ، الشيوخ والاحداث، وتدرس نفوذه ومحبة افراد القبيلة له !••

وقد لفتت هذه الحركات انظار نور الدين ، فاستفهمها فقالت له :

ـ ما دمت أقوم بهذه الرحلة لغاية علمية فليس هناك ما يمنعني من درس حالة البلاد التي سأضع كتابا عنها !••

ولما كانت سارا على جانب وافر من العلم فلم تدخل الريبة الى نفس رفيقها لاسيما ان احدا في ذلك الوقت لم يفكر في الحرب العالمية وفي ان نفوذ السلطنة العثمانية سيزول من البلاد بعد سنوات قصيرة !••

★

وقد يكون جمال سارا ولطف سارا ومحبة سارا لنور الدين من الاسباب الرئيسية التي حالت دون تمكنه من اكتشاف اسرارها !!

وقد اكدت الاوراق التي وجدت فيما بعد ، أي بعد اكتشاف سارا ، ان نور الدين بك الـــذي ظل برفقة سارا الى ما بعد اكتشاف امرهـــا وانتحارها كان يجهل كل شيء من اسرارها !!٠

وكانت سارا تحمل مبالغ كبيرة من المال لتصرفها في رحلاتها هـــذه ، وكثيرا ما كانت تساعد البدو والقرويين بمبالغ لا بأس بها !!٠

وقد لفت هذا الامر نظر نور الدين بك فخاف عليها من ان تصبـــح عرضة لاعتداء اللصوص الذين لا يتأخرون عن التضحية بها وبه في سبيل المال ، ولذا كان ينهاها عن حمل المال قائلا انه قد يكون فيه نكبة تصيبهما ، فكانت تضحك لخوفه قائلة :

ــ لا قيمة للمال عندي ٠ فاذا جاء من يهاجمني للاستيلاء عليه تركته له غير عابئـــة !٠٠

الا انها في الحقيقة لم تفعل ذلك !٠٠

● محاولة اختطاف

ففي احدى هذه الرحلات زارا (تدمر) وفيما هما يتوغلان في البادية خرج عليهما ثلاثة من الاعراب وكانت سارا قد ابتعدت عن نور الديـــن مسافة طويلة الا انه تمكن من سماع استغاثتها التي ارسلتها وهي في حالة ذعر وخوف شديدين فأسرع اليها فشاهد هؤلاء العربان وكانوا مدججين بالسلاح يحاولون ليس سلبها فقط ، بل خطفها والذهاب بها الى البادية !٠ فلم يفقد الشاب رباطة جأشه بل بادر فورا الى بندقيته وهدد بها السلابين وكان مرتديا ملابس عربية ويركب جوادا عربيا !٠ ولما صرخ بهم ظنوه من امراء العرب في هذه المنطقة فخافوا العاقبة وولوا الادبار !٠

ولو أظهر نور الدين قليلا من الجبن في هذا الحادث لذهب هـــو ورفيقته طعما لوحوش الفلاة !٠

ووقعت لهما عدة مخاطر كهذه الا انهما كانا يتلقيانها بشجاعة مكنت اواصر الود والصداقة بينهما ، وتعدت في النهاية دور الصداقة !..

اعلان الحرب

وهذه الرحلات التي قامت بها سارا ارونسون في نهاية سنة ١٩١٢ والتي استمرت الى اواسط سنة ١٩١٤ ظلت مكتومة عن السلطنة العثمانية، الا انه بعد اعلان الحرب العالمية في آب سنة ١٩١٤ وقبل دخول الدولة العثمانية في هذه الحرب رأى افراد هذه العائلة انفسهم في موقف يوجب عليهم العمل بصورة جدية لخدمة دائرة الاستخبارات الانكليزية ولخدمة الصهيونية التي تعتمد على الجاسوسية فيما تعتمد عليه من الحيل للوصول الى هدفها فتقرر والحالة هذه القيام بما يلي :

اولا — ان يتطوع اليك وآرون في الجيش البريطاني بحيث يتوليان فروع الاستخبارات !..

ثانيا — ان يتولى ايزبدور هالكن العمل في الجيش النمسوي ليكون على صلة بمعرفة اسرار النمسويين في الحرب ويوافي بها أخوي سارا !..

ثالثا — ان تتولى سارا ادارة شعبة الاستخبارات في فلسطين وتسعى لتنميتها ، وتتخذ من المختبر الزراعي الذي في (عتليت) قاعدة لادارة هذه الحركات ، وان تسعى عند اللزوم لايجاد جواسيس لها في فلسطين !..

رابعا — ان يتبادل الاربعة المذكورون المخابرات بشيفرة خاصة بهم بواسطة دوائر البريد الاجنبية حتى اذا دخلت الدولة العثمانية في الحرب العالمية جرت هذه المخابرات بواسطة الحمام الزاجل والرسل الذين سيوفدون الى ساحل عتليت !..

وعلى هذا القرار تم الاتفاق بين الجميع !!

● استخدام الحمام الزاجل

كانت اولى الاعمال التي قامت بها سارا في فلسطين انها اخذت بتدريب الحمام الزاجل على التنقل بين عتليت والمناطق المجاورة ، وكانت في كثير من الاوقات تقوم بنزهة على زورق بخاري تملكه فتمضي بالحمام من عتليت الى حيفا وتطيره من هناك فيعود ثانية الى عتليت !..

ثم عمدت الى تأليف شبكة جاسوسية قـــوية جعلتها ذات فروع وتسلسل بحيث لم يعرف بأمرها سوى ثلاثة اشخاص هم الدكتور كوهين خانكن وابراهام إزرائيل وصموئيل سام .

واتخذت عتليت قاعدة لها تجتمع فيهـا برسل شقيقها « اليك » الذين كانوا يزورونها من مصر قبل دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية .

ثم وسعت منطقة نفوذها فأوجدت لهـا عملاء في سمخ ، البطيحة ، والخربة ، وتل شهاب ، وحوران ، وبادية سوريا ، ثم في بيروت ، والقدس ، ودمشق ، وحلب ، ويافا ، وحيفا !..

وكان جميع الجواسيس الذين اشتغلوا معها من اليهود يجهل بعضهم بعضا ، لارتباطهم مع بعضهم البعض بدرجة التسلسل برؤسائهم ، فتصل الاخبار الحقيقية الى سارا فترسلها بدورها الى المنطقة الانكليزية !..
وقد تمكنت خلال سنوات الحرب العالمية من التقـاط معلومات كان جلها مفيدا للانكليز مع انها اخطأت في كثير منها !..

● جمال باشا السفاح !

لما استولى احمد جمال باشا في اواخر عام ١٩١٤ على مقدرات الامور في الجيش الرابع طلب الى رئاسة الشعبة الثانية ان تضع له قائمة بأسمـاء

اليهود الذين هم من اصل اجنبي ويقيمون بفلسطين مع اسماء الذين كانوا في فلسطين ونزحوا عنها !..

وقد وضع اليوزباشي كنعان بك تقريرا ضافيا عن هذه العائلات اردفه بمعلومات حقيقية عن عائلة ارونسون وبوجه خاص عن سلوك آرون واليك اللذين لجأا الى الانكليز مع لائحة من المعلومات الواردة اليه من مصر عن انتساب هذين الرجلين الى مصلحة الاستخبارات وقيامهما بعملهما ضد فلسطين !..



ومع ان الواجب كان يحتم على قائد الجيش الرابع ان يهتم لهذه الحوادث وان يأمر بمراقبة افراد هذه العائلة بدقة فانه لم يهتم لهذه الامور بل اكتفى بانذار آل ارونسون الذين في زمارين بأن اقل حركة مريبة يقومون بها ستكون كافية لابعادهم الى قلب الاناضول ، كأنه كان على اعتقاد بان هذا التدبير كاف لردع هذه العائلة عن القيام باعمال الجاسوسية!

● احمد جمال باشا وساره

لم تكن سارا تظهر الا في اندية الطبقة الراقية في البلاد ! ولهذا ما كاد أحمد جمال باشا يأتي الى فلسطين في اواخر كانون الاول سنة ١٩١٤ حتى كانت سارا هناك ، فتقدمت اليه مع الوفد اليهودي الذي جاء القدس ليرحب بمقدمه ، وتكلمت يومئذ امام الباشا مرحبة به باسم اخوانها ابناء الطائفة اليهوديه ، واكدت له اخلاصهم للدولة العثمانية !!



وسارا لم تأت مع الوفد اليهودي لتحية احمد جمال باشا فحسب ،بل

للتعرف اليه من جهة ، ولمعرفة اسرار الاستعدادات التي يقوم بها لتجهيز الحملة المسافرة الى مصر عن طريق قناة السويس من جهة اخرى !!.

والمعلومات التي نشرت بعد الحرب العالمية والوثائق التي اذاعتها دوائر الاستخبارات أكدت ان شعبة الاستخبارات الانكليزية في فلسطين التي كانت تديرها سارا ارونسون ساعدت الانكليز مساعدة كبرى على الاستعداد للحملة ، لان هذه المعلومات التي زودوا بها كانت كافية لاطلاعهم على اسرار الحملة العثمانية وما لديها من عدد حربية ، فأعدوا عدة مضاعفة لها ، وكان من جراء ذلك ان فشلت الحملة الاولى على قناة السويس ، وزادت الثقة بسارا فباتت مرجعا رئيسيا للحملة الانكليزية !..

● ساره ارونسون في بيروت !

وكان للحلفاء خطة مدبرة لاحتلال السواحل السورية في بدء سنة ١٩١٥ ، أي في شهر اذار ، الشهر الثاني لمهاجمة العثمانيين قناة السويس ، ولهذا ارادوا ان يتعرفوا الى حقيقة الحالة في بيروت والمناطق الساحلية الاخرى فانتدبوا لهذه الغاية سارا ارونسون التي جاءت بنفسها الى بيروت لدرس الموقف ، ونزلت في اليوم الواحد والعشرين من شهر شباط سنة ١٩١٥ في فندق (دوتشرهوف) !.

وفي اليوم التالي اتصلت (بميشال بك س.) متظاهرة بأن قدومها كان لمفاوضة المثري البيروتي بشأن املاك ومعاملات مشتركة لهما في فلسطين ، فاستقبلها ميشال بك بحفاوة كعادته ، وقدمها في ذلك المساء لعدد كبير من وجهاء بيروت !..

ثم ارادت ان تتأكد من موقف البيروتيين من الحلفاء اذا ما اقدموا على احتلال هذه المدينة ، فأرسلت اشعارا الى اخيها (اليك) بأن يوفد سفينتين

حربيتين للتجول حول سواحل بيروت ثم اشاعت بين الناس بواسطة رسلها ان في نية الحلفاء احتلال مدينة بيروت! الا ان هذه الشائعة جاءت عكس ما كانت ترجو ، هي والحلفاء !! اذ ما لبث البيروتيون ان ابدوا استنكارهم للخضوع للاستعمار الاجنبي ، وراحوا يهاجرون الى دمشق ، فامتلأت محطة سكة حديد بيروت بسئات العائلات مما اضطر ادارة السكة الحديدية الى تسيير عدة قاطرات مدة بضعة ايام شحنت الى دمشق الوفا من افراد العائلات البيروتية !..

وتجاه هذا الحادث رأت سارا ان احتلال الحلفاء لسواحل سوريا ولبنان سيكلفهم عدا الضحايا الكثيرة معارك دموية ، فأرسلت تنبىء شقيقها بهذا الامر ، مما أهاب بالحلفاء الى تحويل وجهة خطتهم من بيروت الى اسكندرون والسير من هناك الى حلب ، وهكذا يفصلون سوريا عن بلاد الاناضول ، الا ان المذبحة الارمنية التي وقعت في شهر نيسان سنة ١٩١٥ في اورفه وضواحيها أخرت هذا الاحتلال الى اواخر سنة ١٩١٨ !.



ولم تقتصر مساعي سارا عند هذا الحد في بيروت ، بل قامت بتمثيل ادوار اخرى منها :

لما اشتدت المعارك في (الدردنيل) أراد الحلفاء أن يهددوا المناطق الساحلية العثمانية ، فبثوا رقابة شديدة عليها ، وكانوا الى ذلك الوقت ، منتصف سنة ١٩١٥ ، يتركون الحرية للمراكب الشراعية في التجوال بين سواحل لبنان الحالية وسواحل فلسطين وبدأوا بمطاردة هذه السفن ، الا ان الالمان رأوا ان يكافحوها بغواصاتهم فأوفدوا بعض هذه الغواصات الى السواحل السورية !.

وفي اليوم السادس عشر من شهر تموز سنة ١٩١٥ دخلت الى مرفأ بيروت احدى الغواصات الالمانية ورست فيه وأراد قائدها ان يدخل الطمأنينة الى قلوب سكان المدينة ليظهر لهم ان الغواصات الالمانية لا تخاف اساطيل الحلفاء فأعلن بواسطة القنصلية الالمانية ومقام الولاية ان هذه الغواصة ستظل طول ذلك اليوم في مياه بيروت وان في استطاعة الاهلين زيارتها !.

والشعب البيروتي الذي لم ير حتى السفن الشراعية تدخل مرفأ بيروت منذ عام قد شاقه رؤية هذه الغواصة في مياهه خصوصا بعد ان مهد الالمان بالدعايات للغواصات الالمانية بانها قضت على اساطيل الحلفاء في البحر المتوسط وان مجيء هذه الغواصة الى مياه بيروت دليل على ذلك ، وان هذه الغواصات ستفتح الطريق البحري فيزول شبح المجاعة من سائر البلاد!

★

وكان منظر المرفأ في ذلك اليوم جميلا لان الزوارق التي عشش عليها العشب نظرا لوقوفها الطويل راحت تنقل الركاب الى الغواصة بعد ان نقلت في الصباح وجهاء الجالية الالمانية وطلاب معهد (دياكونيز) ومدرسة سان شارل الالمانية ، والحكام الترك !.. وقد نزل هؤلاء الى الزوارق ثم الى الغواصة وهم ينشدون النشيد الوطني الالماني : (المانيا فوق الجميع) ، وقد اكرم قائد الغواصة وضباطها وفادة القادمين !..

وكان بين القادمين لهذه الغواصة مع افراد القافلة الاولى الآنسة سارا التي لم تتورع ايضا عن الوقوف في صفوف الالمان تنشد معهم النشيد الوطني الالماني وهي تتظاهر بالارتياح لرؤيتها هذه الغواصة الالمانية !!

ولم تقف سارا في صف القادمين لشرب الشمبانيا وتسمع خطب

الترحيب التي ألقاها أركان الجالية الالمانية وثلاث من الطالبات البيروتيات، بل انصرفت لمراقبة حالة الغواصة ومحادثة احد بحارتها عن سفريات الغواصة والرحلات التي قامت بها ، ونظرا لظهور هذه الفتاة بين اشد المتحمسين من الالمان فان هذا البحار لم يتورع عن اطلاع الفتاة على ما أرادته من معلومات دون ان يدور في خلده انه يوفر هذه المعلومات لأكبر عدوة لبلاده !!

*

ولما استحصلت سارا على كل ما تريد من معلومات عن الغواصة ، عادت مع القافلة الاولى ألى الفندق ؛ وأنبأت أحد رجالها السريين بما كان من أمر الغواصه ، وسلمت اليه رسالة طيرها بواسطة الحمام الزاجل من محلة رأس بيروت الى عرض البحر، فوصلت رسالتها بعد الظهر الى شقيقها اليك الموجود على ظهر الدارعة الانكليزية !!

● اول ضحية للجاسوسة !

وفي الاسبوع التالي لهذا الحادث اعتقل رجال الشرطة المولجة بخفر الساحل شابا بيروتيا يدعى (يوسف عيسى عمران) وكان يشتغل في خدمة (ابي سعيد ب.) ، وهذا الشاب هو الذي اطلع علي كمال بك ، رئيس القسم العدلي في شرطة بيروت ، على ان ابا سعيد يتصل بسيدة اجنبية تأتي لزيارته في منزله بسحلة المنارة ، وان ابا سعيد بعد هذه الزيارات كان يقصد البحر على احد الزوارق ، وفي عرضه يجتمع بزورق بخاري انكليزي او بالدارعة ويسلمها الرسالة !!

وقال ان هذه الزيارات بلغت خمسا في الاسبوع الذي زارت فيه الغواصة الالمانية بيروت، وانه، أي يوسف ، قد رافق ابا سعيد في زياراته هذه مرة واحدة !..

الا ان الشرطة عندما داهمت منزل (ابي سعيد) لم تجد فيه شيئا من هذه الوثائق ، ولم تتمكن من اثبات هذه التهمة عليه ، ولهذا اكتفت بنفيه الى الاناضول !!

اما يوسف فانه حوكم امام الديوان الحربي العرفي في عاليه محاكمة سرية استغرقت مدة طويلة ، وقد عذب الرجل خلالها تعذيبا مرا لحمله على الاعتراف باسم السيدة التي كانت تزوده بهذه الرسائل الى الاعداء !..

ولما كان يوسف يجهل حقيقة هذه المرأة ، ولم يكن سوى آلة بيد رجالها السريين يوفدونه بمثل هذه المهمات مقابل مبلغ من المال ، فانه ، بطبيعة الحال ، لم يتمكن من ارشاد المحقق لدى المجلس الحربي العرفي الى هوية السيدة ، وعلى ذلك اعتبر انه جاسوس وحكم عليه بالاعدام بهذه التهمة ، وفي اليوم العاشر من شهر اذار سنة ١٩١٥ نفذ به حكم الاعدام في عاليه !!

● طائرات الانكليز تقصف بيروت !

اما الحلفاء فانهم ، بعد معرفتهم بمجيء الغواصة الى بيروت ، اوفدوا احدى الطائرات الحربية لاستكشاف امرها ، فحامت هذه الطائرة فوق مينائها ، فوجدت الغواصة الالمانية في جهات ساحل الزيتونة ، فأمطرتها ببعض القنابل ، ووقعت احدى هذه القنابل في مقبرة السمطية فأحدثت فيها حفرة عميقة نثرت بعض القبور !.

ثم اوفدوا الى مرفأ بيروت احدى البواخر الفرنسية المعدة لمراقبة الساحل ، فدخلت هذه الباخرة مرفأ بيروت بجرأة غريبة جدا وألقت بضع قذائف في داخل المرفأ اصابت احداها اعلى بناية المصرف العثماني !.

★

وقد كان لهذا العمل تأثيره العنيف في بيروت لان الغواصة الالمانية

التي تظاهرت بالشجاعة عند الصباح ما لبث ربانها عندما شعــــر باقتراب الطائرة ان غادر بغواصته الميناء ، وقال الالمان يومئذ ان الغواصة غـــادرت مرفأ بيروت كيلا تترك للحلفاء مجالا يتذرعون معه بوسيلة لضرب المدينة او احتلالها ؛ ولهذا انصرفت !. مع ان الحقيقة هي ان القائد خاف ان يكشف أمره فيحاط بسفن الحلفاء الحربية ؛ ويكون سببا في فقد هذه الغواصة !.

اما الاتراك فانهم ، بايعاز من الالمان ، ارادوا ان يستغلوا هذا الحادث فالتقطوا رسوما للسكان الذي وقعت فيه القذيفة في مقبرة السمطية ليظهروا للعالم ان الحلفاء اعتدوا على المقابر في مدينة عزلاء !.

الا ان الانكليز ما لبثوا أن قاوموا هذه الدعاية ؛ ونشروا بعد مرور اسبوع على هذا الحادث ، رسما للغواصة الالمانية الراسية في ميـــاه بيروت ليبرروا موقفهم هذا! وقد تبين بعد اكتشاف امر سارا ان هذا الرسم اخذته سارا نفسها بواسطة آلة فوتوغرافية تحملها في معصم يدها بصورة سرية !.

★

وتجاه هذا الامر لم يبق في امكان الالمان ايفاد هـــذه الغواصات الى بيروت ، لان قائد قوات الحلفاء ارسل كتابا الى احمد جمال باشا بواسطة القنصلية الاميركية للولايات المتحدة في بيروت ينذره فيـــه بضرب بيروت واحتلالها اذا ما لجأت الغواصات ثانية الى بيروت ، او اذا ما بلغه ان هذه الغواصات اخذت شيئا من الوقود من مرافىء سوريا !.

● ثلاثة اهداف مختلفة !

كان فيصل في دمشق !
واحمد جمال باشا في دمشق !
وسارا أرونسون في دمشق !

ولكل من هؤلاء الثلاثة هدف !

وكانت المعلومات الواردة من الشريف حسين للشريف فيصل تفيد ان الاتفاق قد تم على اعلان الثورة العربية ، وان عليه ان يبذل جهوده لدى احمد جمال باشا لانقاذ قافلة شهداء العرب الثانية ؛ فاذا لم ينجح فان عليه القدوم الى المدينة المنورة للالتحاق باخيه الشريف علي الموجود هناك !.

وكان احمد جمال باشا في ذلك الوقت شديد الاهتمام والعناية بتهيئة الحملة الثانيه لقناة السويس ؛ وهو يترقب وصول القوات التركية الحجازية من المدينة !.. وكانت التقارير الواردة اليه من وهيب باشا قائد الحجاز وواليها تدل على ان في الحجاز حركة غير اعتيادية ؛ وان البلاد على اهبة ثورة على السلطنة العثمانية !.

وكان تجاه مؤامرة في البلاد السورية نفسها بسبب اعتقال بعض زعمائها ؛ ومحاكمتهم استعدادا لاعدامهم !

وكانت المحادثات جارية بين الفريقين ، بين جمال واستنبول وفيصل ومكة والمدينة .

وفي هذا الوقت العصيب المصادف لاول عام ١٩١٩ ظهرت في دمشق الآنسة سارا ارونسون الجاسوسة المشهورة ونزلت في فندق «فكتوريا»!.

● ساره ولورانس

وسارا هذه المرة كانت من الجرأة على جانب عظيم فقد حملت الى الشريف كتابا من والده ..

وكانت المخابرات بين دمشق ومكة صعبة يقتضي لها وقت طويل ولم يكن باستطاعة فيصل ان يخابر والده بصراحة وحرية ، كما انه لم يكن لدى

فيصل اي علم بمجريات الامور في مكة وهو البعيد عنها !.

ولما كان الاتفاق قد تم مبـــــدئيا بين الشريف حسين والسر هنري ماكماهون على اعلان الثورة العربية فقد تقرر ابلاغ هـذا الامر للشريف فيصل الموجود في دمشق . ووقع اختيار لورنس عـلى سارا ارونسون ، فزودت بكتاب خاص من الشريف حسين الى نجله الشريف فيصل لكي يلاين احمد جمال باشا ويتوسط في الامر رئيس اركان حربه علي فؤاد باشا !.

وكان الشريف فيصل يجهل حقيقة سارا ، ولم يجتمع بها ابدا ، ولـم يكن في استطاعه سارا ان تزوره في هذا الوقت الذي توترت فيه عصبية احمد جمال باشا ، لاسيما ان الشريف لم يكـن يحضر الحفـلات الراقصة والساهرة التي يحييها القوم احتفاء باحمد جمال باشا !.

ومع هذا فان سارا تمكنت مـن ان تتدارك الوسيلة للاجتماع به في اليوم التالي لوصولها الى دمشق !

فقد اقام عبد الرحمن باشا اليوسف مأدبة عشاء في قصره للامير فيصل لم يحضرها الا عدد قليل من المقربين اليه !

وقد أدب الباشا هذه الحفلة بنـــاء على طلب من الآنسة سارا التي أظهرت لعبد الرحمن باشا رغبتها في رؤية الشريف والاجتماع به ، وقـــد قدمها عبد الرحمن باشا الى فيصل كعالمة نباتية ، فاستقبلها الامـير ببشاشة ورقة ، وتحدثا مدة عن هـــذه الشؤون الزراعية وحالة البلاد العربيـــة واحتياجاتها !

كان هذا الحديث يدور امام الجميع !!

ولما هم الامير بالانصراف وضعت الفتاة في يده رقعة وقالت :

ـ في هذه الرقعة معلومات خطيرة تهمكم وانا باتنظار اوامركم .

ولم ينتبه احد لهذه الحركة !!

اما الشريف فيصل فلم يضطرب لما جاء في هذا الكتاب ، بل خاف ان يشعر به احد اذا هو اجتمع ثانية بسارا ، ولم يكن، في ذلك الوقت الحرج، يريد ان يدع وسيله لاحمد جمال باشا يصطاده بها ، ولهذا فانه لم يرغب في ان يوفد رسولا من قبله لمقابلة الفتاة !!

الا ان الفتاة نفسها ما لبثت ان اتصلت به في المساء التالي في دار علي فؤاد باشا رئيس اركان حرب القيادة العليا ، فقد تمكنت هذه الفتاة من الاتصال بعلي فؤاد وغيره من القواد الاتراك ، وهناك قدمها الباشا ثانية الى فيصل ، اذ تظاهرت بعدم معرفتها اياه ، ثم اغتنمت هذه الفرصة وأنبأته بأنها تنتظر الجواب ، فقال : سأعمل بموجبه .

والكتاب الذي حملته سارا لو وقع في حوذة جمال باشا لكان كافيا لدفعه الى اعتقال الشريف فيصل واعدامه ، فالشريف حسين انبأ ولده في هذا الكتاب بقرب اعلان الثورة العربية ، وطلب منه ان يعد العدة لاشراك سوريا في هذه الثورة ، حتى اذا رأى البلاد غير مستعدة للاشتراك فيها ، اغتنم اقرب فرصة للسفر الى الحجاز لان اعلان الثورة يتوقف على ذلك !!

وفي الوقت نفسه قال ان مندوبا سيفد الى دمشق للتحدث اليه في الامر وان في امكانه ان يعتمد عليه !.

فأدرك فيصل ان هذا الرسول الذي جاء ذكره في الكتاب لم يكن الفتاة ، فالتفت الى هذه الاخيرة عندما اكد لها انه سيعمل بموجب ما جاء في الكتاب ، سائلا عن الرسول ؟!

فقالت: ان الاوامر التي لدي تقضي بايصال الكتاب الى سموكم حتى اذا اخذت جواب الموافقة أنبأت الرسول بالامر فيأتي بعد ثلاثة ايام الى دمشق !

فلم يتمالك فيصل عن ان يسألها اسم الرسول وهويته فأبدت عـدم معرفتها شيئا من هذا ، وتظاهرت بالكتمان التام !!

● لورانس في سوريا !

كانت وسائل مراقبة السواحل في سوريا ولبنان وفلسطين ضعيفة جدا حتى في ابان اشتداد الحركات الحربية في فلسطين ، ولهذا كان جـواسيس الانكليز واليهود يذهبون ويأتون الى فلسطين بحرية تامة من غير ان يشعر بهم احد !.

ولورنس عندما جاء في شباط سنة ١٩١٦ الى فلسطين لمقابلة سارا ، لم ينزل في (عتليت) كيلا يلفت انظار الناس اليه ، بل نزل في الجهة الجنوبية من (قيسارية) ، المدينة التي تقيم فيها اكثرية جركسية،وكان مرتديا ملابس الضباط الالمان ، ومحليا صدره بالاوسمة الالمانية ، وجاء من هناك ووراءه ثلاثة من البحارة الانكليز كجنود المان، وقابل مدير الناحية وطلب منه ارفاقه ببعض انفار من الدرك ليتفقد الموقف في الساحل !.

وفي اليوم التالي جاء الملازم الاول احسان افندي وقابل الضابـط الالماني الذي استقبله بعجرفة ثم قدم اليه امرا عليه توقيع جمال باشا نفسه يقضي بمعاضدة حامله بكل ما يطلب ، فتولى القائد التركي خدمة لورانس ورفاقه الجواسيس فطافوا القرى الساحلية بأجمعها ووصلوا الى (عتليت)، وتحت انظار هذا الضابط التركي اجتمع الجاسوسان وتفاهما ، واوفـد لورانس سارا الى دمشق بعد ان زودها بأحد رجـاله لتوصل الرسالة الى فيصل وتعود بالجواب !!.

ولما جاء الجواب لم يذهب رأسا الى دمشق بل ذهب الى حيفا ونزل في اكبر فنادقها بين عشرات من الضباط ومكث هناك يوما واحدا ثم استقل

قطار السكة الحجازية وسافر الى دمشق ونزل في فندق (خوام) ! وفي مساء اليوم السادس من شهر اذار سنة ١٩١٦ اجتمع بسارا فأطلعته على كل ما جرى بينها وبين الشريف فيصل ثم مهدت له سبيل الاجتماع به ، وفيه اتفقا على الخطة الواجب اتخاذها لتحريض العشائر السورية على الثورة وانقاذ الموقوفين في الديوان العرفي في عاليه ، ثم غادر لورانس دمشق الى الحجاز!

أما سارا فانها توجهت برفقة (نور الدين بك) الى بيروت لتنظيم الدعاية في المحيط اللبناني ضد العثمانيين !•

● فشل الاستخبارات التركية !

ولم يكن لدى القيادة العامة الدائرة التي عرفت في الحرب باسم (الجاسوسية ضد الجاسوسية) ، بل كان لديها شعب للاستخبارات العسكرية ليس فيها عناصر تساعد على اكتشاف حركات الجواسيس ، فالعرب الذين كانت تستخدمهم في هذه المهمة لم يكونوا يظهرون لها شيئا من الاخلاص ، خصوصا بعد اعلان الثورة العربية ، حتى أصبح معظم الضباط والجنود العرب الذين في الجيش العثماني اعداء للاتراك ، ولم يكن الجواسيس الترك يتعدون في مهمتهم هذه حد استكشاف المواقع التي يعسكر فيها الاعداء ، اما اسرارهم وما يجري من الامور خلف الجبهة الحربية للحلفاء وخلف الجبهة العربية للثورة فقد كانوا يجهلونها جهلا مطبقا!

● تسرب الاسرار

وقد سخط القائد العام للجيش الرابع على دائرة الاستخبارات العثمانية واستبدل كثيرا من موظفيها ، لان الاسرار العسكرية والاوامر العليا كانت تتسرب الى الحلفاء بصورة فظيعة ، ففي ذلك الوقت اصدرت القيادة العليا

امرا بسحب قوات الاحتياط من « قلعة النخل » الى غزة واختارت لها الطريق الساحلي ، الا انها ما كادت تصدر هذه الاوامر ويشرع بتنفيذها حتى كانت دوارع الحلفاء تقطع عليها خط الرجعة وتصليها نارا حامية !.

ثم قررت القيادة ايفاد قطعة من الجيش الى معان لتعزيز الحامية فيها، ولم يكد القطار يسير بهذه القوات حتى اصبح عرضة لهجمات الثوار العرب.

★

وقد عقد احمد جمال باشا مجلسا عسكريا في دمشق حضره جمال باشا الصغير (المرسينلي) وعلي فؤاد وبعض اركان حربهما ، وبحثوا الموقف ، وابدى احمد جمال باشا سخطه على هذه الحالة وقرر انتداب اليوزباشي عارف حكمت بك لبحث الامور ومراقبة هؤلاء الجواسيس ، الا ان عارف بك لم ينجح ، لانه في اليوم الثالث من شهر آب سنة ١٩١٦ وجد قتيلا في حي القصاع ، وقيل يومئذ انه قتل لاسباب نسائية مع ان الحقيقة هي ان الجواسيس الذين عرفوا بأمره قتلوه !..

وهنا ازداد سخط احمد جمال باشا على رجاله وقرر ان يضع خطة حاسمة ضد هؤلاء الجواسيس ، فاختار لهذه الغاية اليوزباشي جواد رفعت رئيس الشعبة الاولى في الفيلق الثامن ، فاستدعاه وخاطبه قائلا :

ــ جواد بك !. ترى اننا بتنا في حالة مؤسفة جدا فالاعداء مطلعون على كل اسرارنا العسكرية فلا نقرر شيئا الا ويعرفون به ، وعلينا والحالة هذه ، ان نضع حدا لمثل هذه الامور !..

ــ انني على استعداد يا مولاي لكل ما تأمرون به .

ــ يوجد في معسكر الفيلق الثامن وفي مقر الجيش الرابع نفسه جواسيس يعرفون كل ما نقرر ، وقد استدعيتك الان وجعلت حديثنا سرا بيني وبينك لانني بت اخشى الجميع كما بت معتقدا بان الجميع جواسيس ، فاعمل على الخلاص منهم ، ولا ريب بأنهم عرفوا انك جئت لزيارتي وان هذه

الزيارة تتعلق بهم ، فكن يقظا من هذه الجهة ، وانا افوضك بكل ما تراه مناسبا لتحقيق ذلك .

فشكره جواد بك على هذه الثقة ثم انصرف الى مراقبة الضباط الذين في معسكري الجيش الرابع والفيلق الثامن والكتاب من الانفار ، فاستلم (لائحة) باسماء هؤلاء جميعا ثم استدعى اليه ثلاثة من رجاله السريين ، كلا منهم على حدة ، وسلمهم (لائحة) باسماء هؤلاء الضباط والانفار طالبا من كل منهم ان يوافيه بمعلومات حقيقية عن حركاتهم وعن كل فرد يتصلون به بصورة جدية او عادية !. ثم ارسل امرا الى مدير الشرطة في دمشق يطلب منه فيه موافاته يوميا باسماء الذين يأتون اليها من أبناء البلاد والاجانب!.

وكانت غاية جواد بك من هذا الطلب الاخير معرفة الذين يترددون على دمشق من الاجانب والوطنيين ليقف على علاقة هؤلاء مع ضباط اركان حرب الجيش وكيفية تسرب اسرار الاوامر والخطط العسكرية من هؤلاء الى جواسيس الاعداء !.

●

الجاسوسية الصهيونية

في البلاد العربية

روزا مردخاي

حقائق ومغامرات غريبة

في محلة الخندق الغميق !

وفي هذا الوقت الذي انصرف فيه القائد جواد رفعت لدرس هـذه القضيـة بصورة جدية ، وقعت حـادثة كان من الضروري ان ينتبه اليها المولجون بدائرة الاستخبارات العثمانية وجواد رفعت نفسه، لانهم لو كانوا راقبوا ادوار هـذه الحادثة مراقبة جدية لتمكنـوا من اكتشاف اسرار الجاسوسية فيها !..

فقد كان في بيروت فتاة يهودية تدعى روزا مردخاي تقطن مع والدتها في منزل سعيد الشامي في محلة الخندق الغميق ، وكانت هذه الفتاة وهـي دون العشرين من عمرها مجهولة الاصل وكل ما عرف عنها انها جاءت مـن ازمير الى بيروت في بدء الحرب العالمية، والترك الذين كانوا يجهلون طرق مراقبة الجواسيس لم يحسنوا مراقبتها ومعرفة حقيقة هويتها وهـل جاءت حقيقة من ازمير أم لا ؟!

وان تكن جاءت من ازمير فماذا كان مركزها هناك ، ولمـاذا غادرت ازمير ؟! ومن أين جاءت بالمال حتى تمكنت في سني الحرب العصيبة من ان تعيش حياة ثرية مريحة ؟!

ومن أين سحبت الاموال التي وجدت في منزلها ؟!

ولماذا كانت تحصر جهدها في معاشرة ضباط اركان الحرب الالمان ؟!

ويقول الاتراك او ادارة استخبارات الشعبـة الاولى في بيروت ، في التقرير الذي رفعته الى القيادة العامة في سنة ١٩١٧ بعد اكتشاف امر هذه الجاسوسة ، انها كانت تظن ان الفتاة جاسوسة المانية لانها لم تكن تتردد الا على الالمان !!

وهي حجة واهية كان من الواجب درسها بغير هذه الصورة خصوصا وقد كان في الامكان معرفة الحقيقة من الدائرة الالمانية ذات الشأن !.

الا ان الاتراك اهملوا هذا الامر ، وقد اكتشف الالمان انفسهم امر الفتاة ، اذ اشتبهوا بها على اثر فقد بعض المستندات العسكرية !.

فقد اوفد الضابط الماجور الكونت ويلهلم فون برخولد بمهمة من القدس الى استنبول لمخابرة انور باشا بضرورة جلاء الجيش عن القدس والانسحاب الى خط يمتد من الناصرة الى الساحل المقابل لايجاد خط مناسب ، ولم تكن القدس قد سقطت في ذلك الوقت من تموز سنة ١٩١٧ بين ايدي الانكليز الذين احتلوها في كانون الاول من العام نفسه !!

وقد اختار هذا الضابط طريق عكا بيروت للسفر الى استنبول لانها اقرب من السفر بالسكة الحجازية من حيفا الى دمشق ، وعلى هذا غادر القدس وجاء بيروت فوصلها في اليوم الثالث !.

وبيروت التي كانت جحيما لسكانها الذين ضحوا في الحرب المذكورة بأولادهم ونسائهم واموالهم ، كانت مصدر سعادة ورفاه للضباط وموظفي الحكومة من اتراك والمان !.



وفي اليوم التالي لوصول الكونت ويلهلم فون برخولد الضابط الالماني الى بيروت ، ذهب مع نفر من اصحابه الى دار روزا مردخاي في محلة الخندق الغميق ، وتناولوا ما طاب لهم من الخمرة ، وأمضوا فيها سهرة راقصة انصرفوا في نهايتها الى رقادهم ! ولما افاق الكونت صباحا تفقد حوائجه فلم يجد المحفظة ولا الرسالة التي كان يحملها من المشير فون فالكنهاين باشا الى انور باشا ، فطار صوابه ، وقلب الغرفة رأسا على عقب دون ان يجد لها اثرا !

ولا شك في ان روزا هي التي استولت على هـــذه المحفظة واخذت صورها الفوتوغرافية ، ولما تم لها ما ارادت اغتنمت الفرصة والقت بالمحفظة في الشارع بعد أن وضعت ضمنها بضع ليرات تركية حتى اذا شاهدها احد الجياع البائسين احتفظ بها !.

ولما عاد ويلهلم لتفقد محفظته انكرت روزا ان تكون المحفظة عندها ، وطلبت اليه ان يطلع الشرطة على الامر لعل احدا ممن كانوا حول المنـــزل وجدها فاستولى عليها !..

فراقت هذه الفكرة للضابط الالماني ، فقصد الى ادارة الشرطة واطلع رئيس البوليس العدلي على الامر ، وتولى المفوض السيد عارف الياسرجي التحقيق ، فجمع كل الذين كانوا هناك وفي جملتهم احمد الصاوي ، وهو رجل بائس من اهالي بيروت وكان نصيبه المحفظة ، فأنكر بادىء الامـــر الا انه تحت ضربات العصي (وكان المتهمون يضربون في ذلك الوقت وكان في كل مخفر فلقة يحق للمفوض استعمالها عند اللزوم) اعترف بانه وجـــد المحفظة واستأثر بالخمس ليرات التركية التي وجدها لاطعام اولاده البائسين، واعاد المحفظـــة !.

فاستغرب الضابط الالماني جواب الرجل لان المحفظة كانت خالية من ... . ولما تفقدها لاحظ ان الكتاب السري قد فتح فعرض هذا الامر على السيد الياسرجي ، فأحال هذا الاخير الرجل مع الضابط الالماني الى رئيس البوليس العدلي ، وهناك لاقى من الضرب الوانا فظيعة دون جدوى لانـــه كان بريئا . ومع هذا تقرر احالته الى الديوان الحربي في عاليه ، فاحيل اليه بتهمة الجاسوسية، وبعد محاكمة قصيرة حكم عليه بالاعدام ونفذ به الحكم في عاليـــه نفسها !.

● الجاسوس الالماني يتدخل !

وكان في ساحة البرج دائرة للاستعلامات الالمانية يديرها السيد كارل هوبل ، وكان رغم وداعته وتظاهره بالهدوء ، من أخطر جواسيس الالمان ومن العاملين على نشر الدعايات الالمانية في البلاد !.

وقد عرف كارل هوبل هذا بما كان من حادث الماجور الذي رفض ان يطلع رؤساءه على سرقة الاسرار التي يحملها كيلا يؤاخذ على عمله ، الا ان كارل ما لبث ان عرف بواسطة جواسيسه العديدين ما كان من امر الضابط الالماني ، فشدد الرقابة على روزا ، وسرعان ما تمكن جواسيسه من معرفة علاقاتها بشاب يهودي يدعى (كوهين اوينبرغ) كان يتردد عليها من فلسطين !..

وظل يراقبها حتى تمكن ، بعد هذه الحادثة بثلاثة اشهر ، من توقيف كوهين ، وصادر منه بعض الاوراق السرية الدقيقة المتعلقة بمسلك بعض الضباط الالمان في بيروت ومخابراتهم مع القيادة فقاده الى الماجور (فون برت) زعيم الاستخبارات الالمانية في حيفا ، وبعد مرور يومين صدرت الاوامر باعتقال روزا ووالدتها وسيقتا بصورة سرية الى حيفا وسلمتا الى فون برت ، فانصرف هذا الاخير للتحقيق معهما لمعرفة اسرارهما !!

● مصير روزا

اما روزا فان مصيرها ظل مجهولا ، فالقضية بقيت بين يدي فون برت نفسه الذي لم يسلمها الى الديوان الحربي كما يقتضيه واجبه العسكري!!

والسبب في ذلك ان الالمان ، بعد ان تحرج موقفهم في اوربا ، ارادوا ان يستميلوا اليهم اليهود ، فتساهلوا معهم كثيرا في خيانة الترك ، ويقال

ان فون برت اخلى سبيلهم بعد ان وعدوه بالعمل لصالح المانيـا ، الا ان الحقيقة ظلت مجهولة الى الآن ولم يعثر بين الوثائق التركية على وثيقة مـا تدل على حقيقة مجرى القضية وما كان من مصير هؤلاء الجواسيس !!

● عودة الى ساره !

عندما اشتدت المجاعة في سوريا ولبنان بوجه خاص ، رأى الانكليز انهم بحاجة لمعرفة تأثير الحالة الروحية في هذه البلاد على افـراد الشعب ، فاوفدوا لهذه الغاية سارا ارونسون فجاءت الى بيروت ونزلت في فنـدق (دوتشرهوف) واجتمعت بكثير من رجالات بيروت ولبنان بواسطة (نور الدين بك) ثم سافرت الى دمشق !..

ولما وقعت حوادث اعتقال رجـال سوريا واعـدام بعضهم في ٦ ايار سنة ١٩١٦ كانت سارا بين بيروت ودمشق !.



ورابت دوائر الاستخبارات التركية هذه الزيارات المتعددة !.

كما بدأت ترتاب (بنور الدين بك) نفسه ، لان نور الدين وهـو المثري صاحب الامـلاك في بيروت وصاحب المنزل الخاص به ، ترك منزله واقام بفندق (بسول) شهورا !!

ويقول الرجل في احاديثه انه انتقل من منزله الى فندق بسول ليكون قريبا من فندق (دوتشرهوف) النازلة فيه سارا ، ولكن منزله قريب ايضا من هذا الفندق ، فلماذا عمد الى هذا التدبير ؟!

ولماذا جاءت سارا الى بيروت ودمشق في الوقت الذي تحرجت فيـه الازمة السياسية ووقعت فيه حوادث من الخطورة بمكان عظيم ؟!

هذه الامور رابت جواد رفعت بك مدير الشعبة الاولى المولـج

بشؤون دوائر الاستخبارات ، فأوعز الى مديرية شرطة بيروت بمراقبة سارا ونور الدين بك مراقبة شديدة ، الا ان احدا لم يتمكن من معرفة شيء من هذا السر الذي يجمع بين نور الدين وسارا ، ولم يتمكنوا من ان يجدوا بينهما غير غرام عادي ، الا ان المعلومات الرسمية التي كانت ترد يوميا عن حركات نور الدين بك والفتاة لم ترق ادارة الاستخبارات العسكرية فقررت توسيع تحقيقاتها !!

والديوان الحربي العرفي، بعد اكتشافه الوثائق في القنصلية الفرنسية، ومحاكمته رجالات العرب ، جمع كثيرا من المعلومات السياسية من ولايات دمشق وحلب وبيروت ومتصرفية القدس المستقلة عن كل من اشتغل في الحركة الاصلاحية ، وروجعت هذه الاوراق وما يتعلق منها بنور الدين بك فعثر :

اولا : على تقرير مؤرخ في ٢٠ ايار سنة ١٩١٣ يقول ان نور الدين جاء في ذلك الوقت الى حيفا ، ونزل في (الفندق الكبير) فيها وكان هناك فارس بك الخوري من اصلاحيي دمشق،وغاية فارس بك من القدوم المخابرة مع شكري بك العسلي وعبد الوهاب بك الانكليزي مفتش العدلية العام ومعين بك الماضي وعبدالله مخلص ونجيب نصار صاحب جريدة الكرمل لتأييد الحركة الاصلاحية في البلاد ، ولمفاوضة السيد ايليا زكا صاحب جريدة النفير ، ليكف عن مدح الاتحاديين والانضمام الى الاصلاحيين !..

وتقول هذه التقارير الواردة من دائرة بوليس حيفا ما نصه :

« لم يكن فارس بك الخوري يعرف (نور الدين بك) ، فسأل عنه صاحب الفندق ، فلما عرفه اليه وعرف انه من عائلة (ب.) المعروفة بالوطنية والاخلاص ، اطمأن اليه وانصرف الى محادثته في المواضيع السياسية العربية والحركة الاصلاحية والنهضة العربية، ولكن نور الدين بك

لم يكن في ذلك الوقت ليهتم بمثل هذه الاحاديث ، اذ في اليـوم الثالث لوصوله جاءت الى الفندق المذكور يهودية حسنـــاء هي سارا ارونسون العالمة في النباتات ، فانصرف اليها بأجمعه وعرفها في ذلك الوقت الى هؤلاء السادة !!

وهذا التقرير الذي اوردنا خلاصته فيما تقدم دل جواد رفعت بك على ان سارا كانت على اتصال بنور الدين بك منذ سنة .



ثانيا: عثر بالتاريخ نفسه على نسخة برقية مرسلة من سارا الى نور الدين تدعوه فيها لموافاتها الى (زمارين) ، وعلى تقرير من ادارة بوليس حيفا عن وصول الرجل الى حيفا ثم ذهابه الى زمارين واجتماعه هناك بسارا ! وبعد هذا الحادث بأيام قليلة عثر على برقية بامضاء نور الدين مرسلة منـــه الى صديقه عبد الرحمن باشا اليوسف ، عضو مجلس الاعيان العثماني الموجود في دمشق يدعوه فيها لاستقبال البارون دي روتشلد الزعيم الصهيوني !!

وراجع الضابط التركي سجلات الشرطة في ذلك الوقت فتبين له من التقارير السرية ان عبد الرحمن باشا اليوسف ، وهو البعيد عن التدخل في الشؤون السياسية ، جمع حوله عددا كبيرا من وجهاء البلاد وذهب بهم الى محطة دمشق ، حيث استقبلوا روتشلد استقبالا فخما ، الا انه لم يجد في هذه التقارير ما يؤاخذ عليه الباشا ورفـــاقه ، لان اعضاء الحكومة وفي مقدمتهم عارف بك المارديني والي الولاية وقائد الجند ومفرزة من الدرك والبوليس ؛ استقبلوا ايضا على المحطة البارون روتشلد استقبالا فخما !..

وظهر له ايضا انه عندما جاءت الدارعة حميدية الى بيروت كانت سارا ونور الدين في بيروت ، فزارا الدارعة ، وقد استقبل قائدها احمد رؤوف بك . نور الدين ، بحفاوة ودعاه الى تناول الغداء على مائدته ثم اهــدى له رسم الدارعة مع بطاقة باسمه وبخط يده ! وقد زاد في حيرته انه وجد

في محفوظات الادارة نسخة من مجلة (الالستراسيون) الفرنسية وفيها خبر هذه الزيارة مع رسم احمد رؤوف بك ونور الدين بك معا !!

وقد زادت هذه المعلومات في حيرة الضابط جواد رفعت بك ، لانه لم يجد في جميع هذه المعلومات التي حصل عليها ما يدل على وجود ادلة راهنة الا انه وجد ان الحكومة تنبهت الى حركات سارا ونور الدين في بـــدء الحرب العالمية فوضعتهما تحت مراقبة الشرطـــة السرية في بيروت وحيفا ودمشق وتلقت عنهما تقارير كثيرة لم يجد فيها ما يريب ! فأحد هؤلاء يقول انه شاهد سارا مع نور الدين في بيروت يتنزهان ، وقال آخر انه شاهدهما يحضران احدى الحفلات الساهرة في احد قصور بيروت ، وقال ثالث انـــه شاهدهما يزوران دار العظم او دار اليوسف ، الا ان احـــدا لم يقل ، في تقريره ما يدل على نيات سيئة ! وفي النهاية ظهرت نسخة من برقية ارسلها نور الدين بك من حيفا الى المؤتمر العربي بباريس في تمـــوز سنة ١٩١٣ يستنهض فيها همة اعضائه للسعي لتحقيق اماني العرب •

● توقيف نور الدين بك

وقد رأى جواد رفعت في هـــذه البرقية وسيلة لاكتشاف اسرار نور الدين وسارا ، ، ولهذا استدعاه الى دائرته في دمشق وحقق معه عن معنى برقيته هذه الى المؤتمر للدفاع عن حقوق العرب ، فأجاب انه لا يفرق ابدا بين الجنسيات ، فجميع الشعوب في نظره على السواء ، وقد حاول الضابط التركي استدراجه لمعرفة حقيقة علاقاته مع سارا دون جدوى ، لأن الرجل اثبت انه كان عشيق الفتاة ، وليس له أي علم بأمر من امورها السياسية !•

فعرض عليه لائحة باسمـــاء الاشخاص الذين عرف سارا بهم كعبد الرحمن باشا اليوسف ومحمد فوزي باشا العظم وشفيق بك القوتلي وجميل

مردم بك ، وغيرهم من رجالات سوريا ، فلم ينكر انه قدم سارا الى هؤلاء والى غيرهم من وجهاء بيروت وسوريا ، وأكد انه فعل ذلك بدافع الصداقة!

عند هذا اخلى سبيل نور الدين بك بعد ان اخذ منه وعدا بان لا يخبر سارا بما جرى !. وهدد بصورة حبية بأنه سيكون عرضة لتهمة فظيعة قد تودي بحياته اذا هو اخبر سارا بذلك !

وهكذا عاد نور الدين بك الى بيروت للاجتماع بساره التي كانت بانتظاره !

في حفلة ساهرة

ومع هذه المخاطر الشديدة التي هددت نور الدين ، ومع علمه بأن الفتاة باتت موضع شبهة السلطة العسكرية، فانه لم يتركها ، بل تابع علاقاته معها كالعادة دون ان يهتم لمعرفة حقيقة نياتها، لان الغرام حال دون اهتمامه بغير شخصية سارا وجمالها !.

وقد وقعت حادثة كادت تودي به وبسارا ، واليك بيانها :

احيى (الفرد بك س.) حفلة ساهرة في قصره حضرها جمهور من علية القوم بينهم سارا ارونسون ورفيقها ، وخلال السهرة احاط طاهر كنعان بك رئيس بلدية بيروت سارا بعناية خاصة أغاظت نور الدين بك وأخافت سارا . فقد خيل الى نور الدين بك ان طاهر كنعان بك يغازل الفتاة، وخيل الى سارا من احاديث الرجل انه بدأ يعرف حقيقة أمرها ، فمضت في سيرته لتؤكد له براءتها او لتزيل من افكاره النيات السيئة التي كان يضمرها الرجل !!

وقد كان من جراء هذا التباين في الافكار ان تقدم نور الدين بك

محاولا صفع طاهر كنعان بك ، فتدخل البعض وكانت سارا اشدهم تحمسا فقد خافت عاقبة هذا الحادث وغادرت على الاثر السهرة ، فلحق بهـا نور الديـن ، فعاتبته بشدة على تصرفه ، وفي اليـوم التـالي توجهت الى فلسطـين !!ه

الجاسوسية الصهيونية

في البــلاد العربيـــة

هكذا وقعت ساره

في قبضة الاستخبارات

تجسس بواسطة الفواصات!

وذهب انكليزي في كل مكان !

● الذهب دائما كان الوسيلة !

والذهب الانكليزي في الايدي الصهيونية عمل ما لا يعمل !.

ولكن ضمير ضابط تحرك فكشف كل شيء !.

● والحكاية بدأت عندما كلف الضابط (عدنان شوقي) احد الجنود بأن يشتري له بعض الليرات الذهبية بالعملة المحلية !. فقد كان عدنان يعرف ان الذهب هو العملة الوحيدة التي لا تخسر قيمتها سواء ربحت الحرب هذه الدولة او تلـك !..



● وعملا بهذه القاعدة ذهب الجندي الى السمسار وطـاف السمسار على المتاجرين بالذهب وجمع منهم ١٥٠ ليرة عثمانية و٥٠ ليرة من النقـود الذهبية الاجنبية ودفعها الى الضابط الذي استلمها سرا ودفع ثمنها وانتهت القضية !..

وفي المساء حلا لعدنان شوقي ان يتفقد نقوده ليضعها في زناره(كمره) الذي اعتاد الضباط ان يتمنطقوا به ، وفيما هو يفرز هذه النقود لفت نظره ليرتان انكليزيتان ذهبيتان عليهما تاريخ سكهما (١٩١٦) ، فوقـف حائرا تجاه هذا الاكتشاف !. واخذ يسائل نفسه عن كيفية تسربهما الى (الناصرة) البعيدة جدا عن الجبهة الانكليزية !!



ولبث الضابط حائرا ! أينبيء قائد الموقع بالحادث فقد يكتشف مـن ورائه اسرارا خطيرة ، ام يسكت خشية ان يفتضح امره؟ اذ لا بد ان تسأله القيادة عن المصدر الذي جمع منه هذه الثروة ! وظل طوال الليل يراجـع ضميره الى ان استقر رأيه في النهاية على ان يحمـل الليرتين الذهبيتين الى قائد موقع الناصرة ويعلنه الحـادث دون ان يشير الى بقية الليرات التي

اشتراها اذ لا فائدة للتحقيق من وراء ذلك : ونفذ قراره وعرض على يونس حيدر بك ، قائد قوات الناصرة ، القطعتين الذهبيتين ، وروى له كيفية وصولهما اليه !!

وعلى الفور استدعى يونس حيدر بك ، الجندي احمد الذهني الذي توسط بين الضابط والسمسار ، فاعترف بأنه استدعى السمسار (حنا مرقص) الذي كان وسيطا في مشترى النقود ، وانه لا يعرف عن الحادث شيئا غير هذا !..

فطلب يونس حيدر بك من الجندي المذكور ان يأتيه بحنا مرقص لانه يريد ان يشتري منه الف ليرة ذهبية !.

فسر الجندي ، بعد ان خيل اليه ان امره قد افتضح، وان يونس حيدر بك سيعاقبه ويرسله الى الجبهة الحربية ! اما وهو يريد شراء الذهب . فهذا يدل على ان الرجل سقط في حبائله ، وانه ، اي الجندي ، سيصبح ثريا ، لانه سيكون سمسار القائد !. وعلى هذا فقد اسرع على الفور الى حنا يبشره بوقوع القائد في حبائله ، وان في امكانه ان يبيعه كميات وفيرة من الذهب ، ولم ينس الجندي ، وهو ذاهب بحنا الى منزل القائد ، ان يتفاهم معه على حصته من الارباح !!

★

● في دار القائد استقبل يونس حيدر بك السمسار ببشاشة ولطف ، واتفق معه على صفقة شراء الف ليرة ذهبية وسأله ان يسعى لأن يجمع اكبر كمية ممكنة من النقود الذهبية الاجنبية ، فكثير من الضباط الاتراك اعتادوا ان يطلبوها منه، وعلى هذا ذهب حنا ليجمع النقود بعد أن ألح عليه يونس حيدر بك ان يأتيه بها في اقرب وقت ، واذا امكن في مساء اليوم نفسه ، وانصرف الى جمع النقود الذهبية بحيث تمكن من ان يؤمنها في مساء اليوم نفسه ، وكان ثلثاها من النقود الذهبية الانكليزية والفرنسية ! وبعد ان

تفحص يونس حيدر كل هذه الليرات بدقة دفع ثمنها من الاوراق النقدية وصرف الرجل ، ثم عمد الى فحص الليرات الانكليزية فوجدها كلها من الليرات القديمة وليس فيها اية قطعة من الليرات المسكوكة سنة ١٩١٦ !.

ومع هذا رأى القائد ضرورة اجراء التحقيق ، فاستدعى حنا مرقص ثانية ، فأسرع اليه ، ولما ولج الى مقر القيادة في الناصرة لم يدخل على القائد بل أدخل الى غرفة منفردة وطلب اليه ان ينتظر فيها ففعل ! ولما طال انتظاره بدأ القلق يتسرب الى نفسه ، وحاول الخروج من الغرفة لمقابلة الكاتب وابلاغه ان عنده اعمالا تضطره الى الذهاب ، فمنعه الجندي ، واعترض حنا بقوله :

ـ ولكنك على خطأ فانا لست موقوفا بل قادم لمقابلة القائد باعمال خاصة ، فدعني اذهب !..

ـ بل أنت موقوف !..

ـ ولماذا ؟.

ـ لا أعلم !..

ـ وهل في امكانك ابلاغ الضابط الخفير (النوبتجي) اني أريد مقابلته ؟!

ـ ليس في امكانك مقابلة احد مطلقا ، لأن الامر صريح بمنعك من محادثة أي كان !..

فلما رأى (حنا مرقص) استحالة معرفة سبب توقيفه عن طريق الجندي، بدأ القلق ينتابه، فقد خشي العاقبة، واشتبه بتوقيفه دون ان يستدعيه القائد!

● معرفة السر !.

عاد الضابط الذي أوفده يونس حيدر بك من منزل حنا مرقص حاملا

ما وجده من نقود وأوراق ، وانصرف الى التدقيق فيها . فلم يجد بينها اية قطعة ذهبية قديمة أو أيةورقة تشير الى علاقة الرجل بدوائر الاستخبارات الاجنبية !!

كذلك فالمعلومات التي طلبها من ادارة الشرطة في (الناصرة) أكدت له ابتعاد الرجل عن الشؤون السياسية وانصرافه الى التجارة وبيع الذهب. وانه اوقف بتهمة بيع الذهب مرارا متعددة ، الا انه كان يتمكن بواسطة رشوة الحكام والضباط من انقاذ نفسه !.



فاستدعاه القائد ، فدخل عليه وهو شديد الاضطراب ، خصوصا بعد الذي تأكده من تبدل لهجة يونس حيدر بك في استقباله ، وراح يتطلع الى القائد وهو لا يجسر على سؤاله عن الدافع الى اعتقاله، الا ان يونس حيدر بك ابتدره بقوله :

ــ هل علمت بالتهمة الخطيرة الموجهة اليك ؟!

ــ نعم يا مولاي !.. فقد خالفت القانون وتاجرت بالذهب !.

ــ كلا بل بعتني الذهب برضاي ، واذا كانت ثمة مسؤولية في المتاجرة بالذهب فعلي وعليك معا لأنك بعت وانا اشتريت ، الا ان التهمة الموجهة اليك شديدة الخطورة ، فأنت لم تبعنا الا نقودا مزيفة !!

ــ اذن انا مزيف يا مولاي ؟!

ــ نعم ، ولدينا ادلة راهنة على ذلك !

فانتفض (حنا مرقص) لهذه التهمة التي وجهت اليه واخذ يجهش بالبكاء محاولا بشتى الطرق اثبات براءته وابتعاده عن مثل هذه الامور ، فتركه يونس حيدر بك على هذه الحالة هنيهة ، ثم قال :

ــ نعم لدينا ادلة على انك مزيف نقود !.

قال يونس بك حيدر ذلك ثم قرع الجرس مستدعيا (عدنان شوقي)، فدخل هذا الاخير، وبعد ان ادى التحية العسكرية، التفت اليه القائد وقال:

ــ عدنان بك ، ان حنا افندي ينكر انه مزيف للنقود فما قولك ؟!

ــ انني اصر يا مولاي على اتهامه بذلك . فقد اشتريت منه اول امس مبلغا من الليرات الذهبية وجدت بينها هاتين الليرتين وهما مزيفتان !.

قال ذلك واخرج الليرتين من جيبه ، والقاهما امام يونس حيدر بك ، فالتفت هذا الاخير الى حنا ، فانقض حنا بسرعة على الليرتين وفحصهما فتبين له انهما غير مزيفتين ، فسرى عنه وقال :

ــ اراهن يا مولاي برأسي على ان هاتين الليرتين غير مزيفتين !.

ــ كلا انهما عكس ما تقول، ولدينا ادلة على ذلك، فمن اين اتيت بهما؟

ــ من !.. من !..

ــ ممن ؟. قـــل !..

ــ مولاي ، ان عملي هذا يعد خيانة للرجـــل الذي كان السبب في تأمين معيشتي !!

ــ اذن انت المسؤول عن ذلك وفي امكانك الانصراف الى غرفـــة التوقيف استعدادا لارسالك الى الديوان الحربي بتهمة تزييف النقود وبيعها للجيش !

ــ ولكنهما غير مزيفتين !

ــ انظر اليهما جيـــدا !

فتناولهما حنا ودقق فيهما ، ولما انتبه الى تاريخ سكهما ظهر عليـــه الاضطراب وادرك خطورة الموقف !.

وقد لاحظ يونس حيدر بك ان الرجل فقه الحقيقة فقال له :

ــ هل تأكدت انهما مزيفتان ؟. واذا حاولت انكـــار انهمـــا مزيفتان ، فمن اين اتيت بهما ؟ ان الانكليز ...

ـ مولاي اني لم اكن جاسوسا في حياتي ، وقد اشتريت كل النقود التي دفعتها لعدنان بك من الخوري (اغناطيوس ...) راعي كنيستنا، وهو رجل تقي لا يمكن ان يتجه الى الجاسوسية !.

ـ سنرى في الامر !.. والآن ستظل في ضيافتنا لنرى ما يكون من نتيجة التحقيق !.

● التحقيق مع الخوري !

● لم ينكر الخوري اغناطيوس انه باع الذهب الى حنا . وقد اراد ان يلقي على القائد محاضرة في الوطنية عندما سأله عن مصدر الذهب، وحاول ان يثبت له انه وطني صميم ، لانه يحتفظ بالورق النقدي ضد الذهب ، الا ان القائد اوقفه عن المضي في محاضرته هذه قائلا :

ـ هل في امكانك ان تعين لنا المصدر الذي اشتريت منه الليرات الذهبية ؟

ـ انها لدي من قبل الحرب !..

ـ يا حضرة الاب المحترم ان رجال الدين لا يكذبون ، فهل تقسم على ان هذه الليرات لديك من قبل الحرب ؟!

ـ كلا ، فهناك بعض من ابناء كنيستي كانوا يأتونني ببعض ما خبأوه لاستبداله بالعملة المحلية !

ـ لقد جاءك مؤخرا من باعك ليرات انكليزية ذهبية !.

فظهر الاضطراب على محيا الخوري التقي اذ كان يعرف ان اللذين باعاه هاتين الليرتين هما من ابناء رعيته وقد جاءا منذ عشرة ايام من مصر على احدى سفن الانكليز !!

وكان يخشى ان يتهم هذين البائسين بالجاسوسية ليقينه ببراءتهما ، او

براءته هو على الاقل ، ولخوفه من ان يؤدي اكتشاف امرهما الى اعدام ثلاثة معا ، لذا قرر التمسك بالكتمان ولو كذب في سبيل انقاذ بريئين ، ولم يكن يجهل ان القائد لا يسلك الدليل على قـــدوم الرجلين وبيعهما الذهب منه !. فقال :

ـ انا على ثقة يا مولاي بأن اللذين باعاني الليرتين لم يكونا جاسوسين، الا انهما دخلا البلاد بصورة غير شرعية !..

ـ كن على ثقة بأننا لن نؤذيهما بسبب هذا اذا تأكدت لنا براءتهما ، وكل غايتنا ان نعرف منهما الطريق الذي يسلكه هؤلاء الاجانب في دخول بلادنـــا !.

ولما كان الخوري اغناطيوس على اعتقاد وطيد ببراءة الرجلـين صرح بسميهما . وعلى الفور ارسل القائد من استدعاهما وهما (يوسف اسعـد حنينا) و (حنا ابو سعد المهري) ، فاعترفا امام القائد بأنهما من اهالي الناصرة . وانهما جاءا على ظهر غواصة انكليزية مـــن (بورسعيد) الى فلسطين . وانزلا في جوار (عتليت) ، وهناك تركا وشأنهما فتوجها الى الناصرة !.

● كيف اتصلا بالانكليز ؟

وقد اكد لهما يونس حيدر بك انه سيخلي سبيلهمـا ولا يحيلهما الى الديوان الحربي العرفي اذا هما اعترفا بكل شيء ، فصرحا قائلين :

ـ تروج في القطر المصري دعايات شديدة ضد العثمانيين لحمل العرب على التطوع ضدهم في هذه البلاد ، وقد انقسمت هـــذه الدعايات الى قسمين . احدهما يسعى لحمل الشبان العرب الموجودين في مصر وغيرها من البلاد الاجنبية على التطوع في صفوف الجيش المحارب ضد العثمانيين في

جبهتي الحجاز وفلسطين، والآخر يوفد الى قلب البلاد للاشتغال بالجاسوسية او لتحريض اخوانه في داخل البلاد ضد الجندية العثمانية ولاحداث فتن في البلاد . وكنا نحن في القاهرة قبل الحرب، وقد ذهبنا اليها طلبا للعمل . ولما نشبت الحرب بدأت الاخبار تردنا بصورة فظيعة عن انتشار المجاعة في هذه البلاد . وعن موت عشرات من النساء والاطفال والعجز !!

ولما كان لكل منا عائلة كبيرة ، فقد قلقت افكارنا . وعنسنا بحاجة الانكليز الى متطوعين سريين. فقصدنا مقر القيادة وعرضنا خدماتنا. فوافقت القيادة على استخدامنا في هذه البلاد . وقد مكثنا في مقر القيادة زهاء شهر تلقينا في نهايتها الاوامر التالية :

● اولا — ان انكلترا صديقة للعرب ، وان علينا ان نذيع بين ابناء وطننا العرب ان المعاهدة عقدت بين الانكليز والعرب لتحقيق استقلال هذه البلاد تحت ادارة الملك حسين(١) . وانه ليس للانكليز من غاية الا استقلال هذه البلاد وتحريرها من ظلم الاتراك واستبدادهم !.

● ثانيا — علينا ان نعمل بكل قوانا لتحريض الجنود العرب في جبهة فلسطين على ترك السلاح والفرار الى المستعمرات اليهودية التي لديها الاوامر اللازمة لاطعامهم وايوائهم ومساعدتهم على الفرار !!

● ثالثا — توزيع المناشير التي ستصل الينا !..

أما طريقة وصول هذه المناشير الينا فهي ان مندوبا من قبل الانكليز سيفد الينا وهو يعرف كل حركة من حركاتنا وكل تطور تتطور به نظرتنا . وكانوا يريدون بذلك تهديدنا بأن في وسعهم ، وهم بعيدون عنا ، معرفة كل ما نصنع !

● رابعا — علينا ان نجمع كل ما يمكننا جمعه من المعلومات السياسية

(١) — الملك حسين الاول (الشريف حسين) .

والعسكرية في المنطقة التي نحن فيها ونسلمها الى رسولهم الذي سيزودنا بكل ما نحتاج اليه من مال . وان في امكاننا ان نطمئن من هذه الجهة ، لان المال سيردنا بصورة منظمة ما دمنا مخلصين في عملنا ، سواء قمنا بعمل ام لم نقم !..

ــ وكم مضى على مجيئكما الى فلسطين ؟!

ــ عشرون يوما لان المعلومات التي عرفناها ونحن في مصر دلتنا على ان الغواصات الانكليزية تأتي الى مياه فلسطين مرتين في الشهر لنقل البريد الذي يردها من مختلف الجواسيس في السلطنة العثمانية ولارسال التعليمات والمال !.

ــ وأين ترسو هذه الغواصة في فلسطين ؟

ــ لقد حدثنا احد البحارة المصريين، وكان في خدمة اركان الغواصة، بأن الغواصة تأتي الى مياه (عتليت) مرتين كل شهر !..

ــ وكيف نزلتما من الغواصة ؟

ــ نزلنا في زورق بخاري على بعد ثلاثة اميال من البر ، ولما اقتربنا من الساحل في الجهة الجنوبية من عتليت لم نر احدا من الجنود على الساحل ، فسرنا من تلك الجهة ووصلنا الى الناصرة دون ان يعترضنا احد!

ــ ألم يأت احد الى الغواصة حين وصولكما اليها ؟!

ــ كلا ، بل رأينا ضابطا انكليزيا ينزل من الغواصة ويسير على زورق في الجهة المعاكسة لجهتنا ، وقد يكون قصد الاجتماع بجواسيسه الذين على الشاطىء !..

ــ وخلال هذه المدة التي قضيتماها في الناصرة ألم يأت احد لمقابلتكما فيها ؟

ــ كلا ، انما قرع باب منزل احدنا في مساء السبت الماضي ، اي منذ خمسة ايام ، ولما نهض من رقاده ليفتح الباب لم يجد الا صرة فوقها رقعة

كتب عليهـــا ما نصه : (تعودن مع رفيقك على توزيع هذه النشرات) . وكانت عبارة عن مناشير موقعة بامضاء الملـــك حسين وتتضمن تحريض الشعب العربي على الثورة . ولما كانت غايتنا الرئيسية من وراء مجيئنا الى مسقط رأسنا الاجتماع بعائلتينا . لهذا احتفظنا بهذه الاوراق لنتلفها فيما بعد ، وقد خبأها حنا في زريبة الماشية خوف من العثور عليها !.

فأرسل القائد الضابط (عدنان شوقي) الى منزل حنا وبرفقته حنـا وعادا برزمة الاوراق التي اثبتت اقوالهما !!

وعلى اثر ذلك اخلى يونس حيدر بك سبيل جميع الذين اعتقلهم في الناصرة ، بعد ان اخذ منهم عهدا قاطعا بـــأن لا يتدخلوا في اي امر لئلا يصبحوا عرضة للتهم الخطيرة ، ثم انصرف لوضع تقرير ضاف رفعـه الى القيادة العامة والى (مدحت بك) متصرف لواء القدس المستقل ، واخـذ رأيهما في التدابير الواجب اتخاذها في هذا الصدد !.

● اجتماع خطير في القدس

اثارت هذه المعلومات التي بعث بها (يونس حيدر بك) الى القدس اهتماما شديدا في المعسكر العام ، لاسيما ان المعلومات الواردة الى القيادة العامة دلت على وجود عصابة قوية تعمل على التجسس لحساب الحلفاء ضد العثمانيين !.

وعلى الاثر عقد اجتماع في القدس برئاسة (علي فؤاد بك) ، درست فيه هذه الامور بصورة جدية وتليت التقارير السرية الواردة من مختلف الجهات ، فتبين منها ما يلي :

● اولا ـــ ان للجاسوسية الانكليزية في البلاد شعبة واسعة النطاق تعمل في محيطين، احدهما في فلسطين ويشرف على مختلف البلدان العربية،

والاخر في تركيا ويشرف على شؤون بلاد الاناضول !•

● ثانيا — ان الاسرار الحربية والسياسية والعسكريـة تتسرب الى الحلفاء . بصورة منتظمة . وما دام حنا ورفيقه اللذان جاءا في الغواصة من القطر المصري يؤكدان ان الغواصة الانكليزية تأتي مرتين في الشهر . الى عتليت . فقد بات من الضرورة مراقبة هذه الجهة ومعرفة الاشخاص الذين يترددون على (عتليت) والذين يتصلون بهم لمعرفة جميع اسرار هذه الشبكة!

● ثالثا — معرفة الطرق التي يتبعها هؤلاء في نقل المعلومات مـــن الغواصات واليها !•

● رابعا — معرفة واسطة الاتصال في هذا الشأن !•

● خامسا — درس موقف قوات المحافظة في (عتايت) والسواحل المجاورة لها ؛ اذ من المؤكد ان الجنود وضباطهم يهملون المراقبة بصـــورة جدية. فمن الصعب ان يمر رجلان بساحل موضوع تحت مراقبة شديدة ولا يشعر بهما احد من رجال خفر السواحل !•

وعلى هذا تقرر ما يأتي :

● اولا — ارسال برقية شيفرة الى القيادة العامة في استنبول وابلاغها هذه المعلومات •

● ثانيا — وضع مراقبة شديدة على (عتليت) لمعرفة موقف (ســارا ارونسون) من هذه الحركة الواسعة النطاق؛ ومعرفة الاشخاص المتصلين بها بصورة جدية !•

● ثالثا — القيام بجولة لمطاردة الفارين من الخـــدمة العسكرية في فلسطين ؛ ومعرفة اهمية دعايات (ساره) هناك !•

● رابعا — تجريد حملة لتحقيق هذه الغاية برئاسة (عارف بك ابرهيم)

رئيس بوليس القدس ؛ ويعطى هذا الاخير صلاحية واسعة النطاق ؛ لمطاردة هؤلاء الجواسيس والوصول الى الغاية الرئيسية من اكتشاف زعمائهم والقضاء على حركاتهم !!

✶

عندما تبلغ (مدحت بك) متصرف القدس هذه المقررات : استدعى اليه (عارف بك ابرهيم) رئيس بوليس القدس ، وابلغه الموقف قائلا :

ــ اننا على ثقة وطيدة من ذكائك واخلاصك ، ان البلاد في خطر شديد ، فهناك عصابات قوية تعمل على تحريض الجنود على الفرار من الخدمة العسكرية واخفائهم في المستعمرات اليهودية ، وهناك عصابة اشد خطورة وهي عصابة الجواسيس ! فبالاتفاق مع القيادة العليا قد اعتمدناك لمعالجة هذه القضية ومقاومة هذه العصابة بصورة جدية ، فاعمل كل ما في وسعك للقضاء عليها بشرط ان لا تخدع في عملك هذا وان لا تكون سببا في توقيف الابرياء واضطهادهم ، لانني اعتبرك مسؤولا عن كل ما يقع في هذا الصدد سواء تجاه السلطة العسكرية او تجاه ادارتي هذه !. وقد وضعت تحت تصرفك كل ما تحتاج اليه من قوات البوليس والجنود للوصول الى هذه الغاية !.

شكر (عارف بك) للمتصرف اهتمامه وثقته به ؛ وانصرف لاجراء تحقيق دقيق حول الاشخاص الذين يقطنون المستعمرات اليهودية المجاورة لعتليت، ثم رأى ان يقوم شخصيا برحلة ليتأكد من رواية الناصريين في الساحل، فطاف هذه المنطقة مدة ثلاثة ايام متوالية دون ان يجد احدا من الجنود يعترض سبيله او يسأله عن الغاية من تجواله في هذه المنطقة ، فأدرك من هذا ان الجنود لا يكترثون بالواجب ، ولا يعنون بالمراقبة !!

★

وفي الوقت المعين لاقتراب الغواصة الانكليزية من عتليت ، رأى

(عارف بك) في هذه المنطقة حركة غير عادية . فقد شاهد(سارا ارونسون) تدخل الى المختبر الفني الذي شيده اخوها هناك ، وفي اليـــوم التالي شاهد عددا من الفتيات اليهوديات يصلن من القرى والمستعمرات اليهودية المجاورة !!

وقد لاحظ من احاديثه مع القرويين العرب هناك ان (ساره) اعتادت اقامة حفلة راقصة مرة واحدة كل اسبوعين يدعى اليها ضابط خفر الساحل ومعاونو مفرزته ، حتى ان كثيرا من الجنود كانـــوا يتركون مراكزهم ليشاهدوا هذه الحفلة التي تريق فيها (ساره أرونسون) كثيرا من خمـــور (ريشون لزيون) المعتقة ، وتبذل للجميع الابتسامات الخلاعية !.

وطبعا أدرك (عارف بك) ان الغاية الاساسية من اقامة مثل هـــذه الحفلة هي جمع رجال قوات المحافظة حولها واضاعة عقولهم بخمرتهـــا المعتقة وحسانها الجميلات !..

ولهذا قرر ان يسهر وحده في تلك الليلة لمعرفة مجريات الامور !..



راح يراقب دار ساره التي تعج بالحسان والجنود مـــن افراد خفـــر الساحل ، ثم التفت الى المنطقة الساحلية الممتدة شمالا وجنوبا على بعـــد بضعة كيلومترات من الدار ، فوجدها خالية من الجنود ، فأدرك ان فـــي ميسور الجواسيس الاستفادة من الظرف الحاضر والاتصال بالاعداء بحرية تامـــة !.

الا ان المهم لديه كان معرفة الجهة التي سترسو فيهـــا الغواصة ، او الجهة التي سيتصل فيها الانكليز بجواسيسهم في البحر، وقد اعتقد عارف بك ان (ساره ارونسون) هي التي ستقوم بهذه المهمة ، فحصر جهـــده بمراقبتهـــا !.

الا ان ظنونه ذهبت سدى ، لان الليل انتصف والفتاة لم تخرج من المنزل ، ووصلت حفلة الانس الى نهايتها وتحول المنزل الى وكر غرام !

★

وفي تلك الفترة رأى عارف بك شابا يهوديا يدخل الى المنزل فتخرج (سارا) اليه، وبعد ان يحدثها تعود الى الداخل فتأمر النساء بالانصراف، مما دله على ان رسلها قد اتصلوا بمندوبي الغواصة ؛ وان الغاية من اقامة هذه الحفلة قد تحققت !!

ولما ادرك عارف بك الحقيقة تعقب الشاب اليهودي الذي عاد هادىء الاعصاب غير عالم بوجود من يراقبه ، الى معمل (الكحول) الكبير الواقع في (ريشون لزيون) ولم يخرج منه !..

بعد ذلك اجتمع عارف بك باثنين من رجاله السريين ، فأبلغاه ان ثلاثة من اليهود قدموا بعد الغروب الى المعمل ، وفي الساعة العاشرة من المساء غادر احدهم مع الشاب اليهودي المعمل الى جهة مجهولة ، وغابا حوالي ثلاث ساعات !.

وفي الساعة الواحدة ، بعد منتصف الليل عاد اليهودي المجهول وحده ولم يمكث الا عشر دقائق ثم ذهب مع رفيقيه الآخرين الى جهة مجهولة ، وبعد مرور ساعة على الحادث حضر الشاب الذي كان يترصده عارف بك، وهذا كل ما في الامر !.

وعلى الاثر رأى عارف بك ضرورة معرفة حقيقة مهمة افراد هذه العصابة ، فاستدعى احد رجاله السريين ، وخاطبه قائلا :

ــ عثمان ، اعهد فيك الذكاء والمقدرة !. فاذهب وجئني بأسماء هؤلاء الاشخاص ، وأعدك بأن اعينك في وظيفة محترمة .

وعثمان من عائلة بيروتية معروفة ، الا انه كجميع العثمانيين في ذلك

الوقت ، لم يكن يعرف الا باسم (عثمان البيروتي) ؛ وقد استخدم مدة في مؤسسة (اورزدي باك) ، فتعرف هناك الى بعض اليهود ، ثم نقل الى فلسطين نعين موظفا في ميناء (قيسارية) ، ولما اعلنت الحرب نقل للخدمة العسكريه ثم الحق بخدمة رئيس بوليس القدس !..

وقد عَرف عارف بك بعثمان افندي الجد والاخلاص ؛ فأراد استخدامه في هذه المهمة ، فحول اليه الصلاحية التامة في التنقل حيثما يشاء بشرط أن يأتيه بما يريده منه !.

★

ارتاح عثمان افندي الى هذه المهمة لانها تمكنه من اظهار ذكائه ومواهبه من جهه ، وتعيده الى وطنه وتكسبه وظيفة حسنة من جهة اخرى، ولهذا انصرف وكله امل وطيد في الحصول على ما يريد !.

● تعزيز القوة المحافظة

وبعد ان زود عارف بك الجندي عثمان ورجاله الآخرين بالتعليمات الواجب اتخاذها لمعرفة هوية هؤلاء الجواسيس ، انصرف الى كتابة تقرير ضاف ليرسله الى مدحت بك متصرف القدس يشعره فيه بالامور التي وقعت حتى ذلك الوقت وعدم تمسك الجنود بواجبهم ، وبخطورة الحالة في تلك الجهات ، ويطلب في النهاية احتلال (عتليت) والمختبر الكيماوي الموجود فيها ، واتخاذهما كمقر لقوة من الجنود !.

وقد وافقت القيادة على هذا التدبير فورا وأرسلت قوة من الجنود الى (عتليت) بصورة مفاجئة، فاحتلت القرية والمختبر، وقام قائدها بتحرياته هناك الا انه لم يعثر على أي اثر يدل على حقيقة علاقة (ساره ارونسون) بهؤلاء الجواسيس !!

واحتلال (عتليت) عسكريا لم يرب (ساره ارونسون) ورفاقها ، اذ كانوا على ثقة تامة من ان امرهم خفي عن الترك !• ولكن تراءى لهم ان احتلال هذه المنطقة بهذه القوة الكبيرة لا يفيدهم ؛ بل قد يضرهم ، وان من الواجب اطلاع السفن الحربية الانكليزية على ذلك ! ففعلوا ذلك بواسطة آلات لاسلكية مرسلة مكنتهم من ارسال الاشارات الى السفن الحربية عن حقيقة الموقف ، وعلى اثر ذلك تبدل موعد مجيء الغواصة ، أو تحولت الى جهة اخرى ، وهو امر لم يتمكن عارف بك من استجلاء اسراره !•

● استخدام الحمام الزاجل

بعد مرور عشرة ايام على احتلال القوات العثمانية لمركز (عتليت) كثر مرور الحمام من هذه الناحية ، ولم يلفت الا انظار (عارف بك) ، فراح يتعقب الحمام فرآه يأتي من جهة البحر ويذهب الى (زمارين) ثم يعود منها وقد تعذر عليه رؤية المنزل الذي يحط عليه الحمام في (زمارين)، فاشتبه بهذا الحمام ان يكون حمام المراسلات الجاسوسية ، فترقب واحدة منه وهي قادمة من البحر على بعد من (زمارين) ورماها بالرصاص فأصاب منها مقتلا ، ولما سقطت على الارض اسرع اليها والتقطها فوجد في قدمها خلخالا ضمنه رقعة صغيرة ففتحها فلم يعرف منها شيئا ؛ لانها كانت مكتوبة بالرموز السرية ، فاعتقد ان فيها دليلا قاطعا على حقيقة الجواسيس الذين يترقبهم فتوجه فورا الى القدس وعرض الورقة بنفسه على مدحت بك متصرف القدس ، وهذا الاخير عرضها على اركان الحرب ، فبذلوا كل ما لديهم من جهود في سبيل حل رموزها دون جدوى، اذ ظلت سرا من الاسرار!

وعلى هذا سار عارف بك الى مقر عمله لمتابعة مهمته وهو اشد ثقة من

ان دوائر اركان الحرب العثمانية ودوائر الاستخبارات عاجزة ، ليس عن مكافحة الجاسوسية الصهيونية فحسب ، بل عن معرفة الادوار التي تمثلها في بلادها ايضا !!

وفي اليوم الذي عاد فيه الى (عتليت) ، وكان الى ذلك الوقت لا يزال متنكرا بثياب قروي ؛ جاء (عثمان البيروتي) وأنبأه بان خمسة اشخاص من الغرباء ويظنهم من اليهود جاؤوا الى معمل كحول (ريشون لزيون) وليس بينهم احد من الاشخاص الثلاثة المشتبه بهم، ومع هذا فقد اعتقد ان لهؤلاء الخمسة علاقة بجواسيس اليهود لان احدهم زار منزل ساره بزمارين ؛ ثم عاد رأسا الى المعمل !

وفي صباح اليوم التالي عاد رفيقاه وابلغاه ان اثنين من الجواسيس الخمسة توجها الى القدس والثالث توجه الى (خان يونس) والرابع توجه الى (حيفا) والخامس الى جهة مجهولة !.

فذهب عارف بك الى ادارة البرق وأرسل برقية شيفرة الى مدحت بك يطلعه فيها على اوصاف هؤلاء الاشخاص الخمسة كما سردها له عثمان لوضعهم تحت المراقبة الشديدة ومعرفة الوجهة التي اتجهوا اليها !.

وقد اهتم متصرف القدس لأمر هذه البرقية التي حولها فورا الى (علي فؤاد باشا) ، وهذا بدوره ابرق الى قواد المناطق في الجبهة يعلنهم الامر ، وفي هذا الوقت شوهد في قرية (قالونيا) المجاورة للقدس ثلاثة اشخاص من البدو فراحوا يراقبونهم مراقبة دقيقة ، وكان احد هؤلاء الثلاثة جاسوسا من جواسيس اليهود الخمسة المطلوبين ، او بالاحرى زعيم هؤلاء وهو معروف باسم (ليتشانسكي) ، وكان قد عرف بواسطة جواسيسه الذين في داخل معسكر الفيلق بأمر المخابرات السرية التي عممها قائد الفيلق على القواد لتوقيفه وتوقيف رفاقه ، فخاف العاقبة وقرر الاستعانة بسكان المنطقة الذين اعتاد هو وأمثاله الاستعانة بهم كادلاء

يرشدونهم الى الطرق التي لا يعرفها الاتراك والتي تمكنهم من الوصول الى الحدود دون ان يشعر بهم احد !!

★

اجتمع (ليتشانسكي) باثنين من هؤلاء الادلاء المساكين . وهما احمد الشيخ خصيري ويوسف ابو رفيدة من العرب الذين صرفوا حياتهم في رعي الماشيـــة !.

ولما كان الجاسوس اليهودي يخشى سوء العاقبة، بعد المراقبة الدقيقة. وهو يحمل اوراقا تتضمن جميع معلومات جواسيسه لايصالهـا الى القيادة الانكليزية في الجبهة الحربية فقد استعان بهذين البدويين للاختفاء في قريتهما قالونيا ، فذهبا اليها ، وهناك اعطياه ثيابا كثيابهما ، واقام عندهما !!

وكان الباش جاويش (احسان افندي) من المولجين المراقبة في هـذه القرية !.. فشاهد هؤلاء الثلاثة وكان يعلم بمساعي احمد ويوسف، فاعتقد انه وقع على الجاسوس بشخص رفيقهما ، ومع انه كان وحيدا فقد هـدد الثلاثة وكانوا عزلا من السلاح ، واعتقلهم وربطهم بحبل كان معه ؛ وهـم يسوقهم الى مقر القيادة !.

الا ان (ليتشانسكي) ابى ان يقع فريسة بين ايدي الاتراك الذيـن سيعدمونه فورا بلا ادنى شك!. فالتفت الى الباش شاويش وأفهمه بصراحة انه جاسوس يهودي ؛ وانه على استعداد لان يدفع له الف ليرة تركية او مئتي ليرة ذهبية فورا اذا اخلى سبيله !.

كانت هذه المفاجأة موضع حيرة واضطراب الباش شاويش ، فأخذ يزن واجبه الوطني بالمال ، فرجح الاخير على الاول ، واخلى سبيل الجاسوس ، واحتفظ بالقرويين ، وقادهما الى المركز معلنا (فؤاد باشا) بفوزه الباهر هذا!

● اعدام البريئين !

كان (علي فؤاد باشا) في حالة استياء شديدة من تعدد حــــوادث الجاسوسية واشتراك ابناء البلاد بها ، فاندفع هذه المرة مع تيار العاطفة ؛ وشكل في ذلك اليوم مجلسا عسكريا تولى محاكمة هذين الرجلين اللــذين اعترفا نظرا لسذاجتهما بما كان من امر الجاسوس الذي لا يعرفان هويته ؛ الا انهما لم يشيرا الى طريقة فراره ؛ اذ كانا يعتقدان ان المجلس لن يحكم عليهما بل انه سيخلي سبيلهما !..

على ان الامر كان عكس ذلك ، لان المجلس الحربي العسكري حكم عليهما بالاعدام ؛ وابلغ الحكم برقيا الى (علي فؤاد باشا) فصدقه فورا ! وفي صباح اليوم التالي اعدما شنقا في قريتهما (قالونيا) نفسهــا دون ان يتمكنا من الدفاع عن نفسيهما ، لان الذي تولى الاشراف على تنفيــــذ الاعدام كان البائس جاويش احسان الذي كان السبب في اعتقالهما واخلاء سبيل الجاسوس الحقيقي !..

● خطة مطارة الجواسيس

لم يكن من السهل تتبع اثر اليهودي في فلسطين ، لان بني قومه لا بد ان يعمدوا الى اخفائه عندما يعلمون ان الحكومة جادة في طلبه ، ولهذا كان من المستحيل على (عثمان البيروتي) ورفيقيه اظهار حقيقة هويتهم ، كما انه كان من المتعذر عليهم التجول في القرى اليهودية بدون صفة، ولذا فقد اتخذوا لانفسهم صفة موظفي دائرة المالية المولجين بجبايــــة الرسوم الاميرية ، وبهذه الصفة كانوا يستطيعون مراقبة الاعداء دون خوف !!

وكان لليهود في هذه المنطقة عدة قرى اشتروها من العرب ، وباشروا

استعمارها ؛ وهي ام العلق وبريكه والمراح ورازيـــه وكركور بيديس ؛ فقصدوا هذه القرى الواحدة تلو الاخرى ، وعرفوا من اهلها العرب ان ثلاثة من اليهود الغرباء كانوا يترددون على قرية « كركور بيديس وانهـــم قدموا اليها منذ ايام ثم رحلوا بعد ان مكثوا في منزل مختار القرية ثلاثة ايـــام !..

فاكتفى عثمان ورفيقاه بهذه المعلومات لتتبع الاثر في الجهة التي قيل لهم ان هؤلاء الجواسيس ذهبوا اليها !..

الا انـه لم يكن في المنطقة التي أرادوا الذهاب اليـــه مسلمون او نصارى ، بل يهود ، وهؤلاء من الصعب استجلاء الاسرار منهم، ولكن عثمان اعتمد على مهارته والصدف التي كثيرا ما تخدم الشرطي في تتبـــع الحقائق ، فقصدوا (ملبس) ونزلوا في فندق القرية ؛ وهو فندق نظيف يديره يهودي ، فرحب بالقادمين ثم جاءهم (باروخ دبينويس) مختــار القرية، ففاوضوه في مسألة الرسوم الاميرية المترتبة على القرية!. واغتنموا هذه الفرصة للبحث معه في عدد الغرباء الذين في القرية . فأنكر (باروخ) وجود احد منهم قائلا ان اثنين من الغرباء فقط مرا في القرية منذ اسبوع وانهما من سكان (زمارين) ، ولا علاقة لهما بالقرية والرسوم المترتبة عليها !

وقد افادت هذه المعلومات عثمان ، فطلب مقابلة هذين الرجلين لانهما قد يكونان من المديونين ، وسرعان ما لفظ المختار كلمة دلت على حقيقة هوية الجاسوس الخطير ، قال :

ــ احد هذين الرجلين (نهمان بلكند) ، وهو من اثرياء المنطقة وليس من الاشخاص الذين يتهربون من دفع الرسوم الاميرية المترتبة عليهم، وهو صديق لآل (ارونسون) زعماء قرية (زمارين) !!

وكانت هذه المعلومات كافية لمساعدة رئيسه (عارف بك) على رفـــع الستار الذي احتجب وراءه جواسيس اليهود طويلا !.

وزاد في ايضاح ذلك المعلومات التي وردت من دائرة استخبارات النمسا عن عصابة الجواسيس اليهود التي اعتقلت هناك والتي اعدم فيها بعض اشخاص بينهم خطيب (ساره ارونسون) ، وبذلك وقعت الشبهة على (ساره ارونسون) ومن في منزلها ، وتقرر وضع رقابة شديدة عليها !
ثم توجه (عارف بك) الى القدس ، وعرض هذه المعلومات وما لديه من معلومات اخرى عن الجواسيس الآخرين ، فلم يصدقه المتصرف وقال له :

ـ اعتقد انك على ضلال في هذه التهم التي توجهها الى (ساره ارونسون) ورفاقها ، ولذا أطلب اليك ان تصرف اتباهك وجهة اخرى !!

ـ ولكن المعلومات التي بسطتها لكم تؤيد هذه الحقيقة الناصعة ، وأرى من واجبي ان احصل على موافقتكم في هذا الشأن لاتمكن من مطاردة هؤلاء الجواسيس، وفي مقدمة الامور توقيف (ساره ارونسون) ، وتحري معمل الكحول وتوقيف من اشتبه به !.

ـ لن اوافقك على هذه الامور، فأحمد جمال باشا كما تعلمون يعطف على (ساره) عطفا خاصا ! ولنفرض انها جاسوسة فلن اوافق على انزال الاذى بها تحاشيا لغضب الباشا !..

ـ اذن ارجو منك اقالتي من هذه المهمة !.

ـ كلا ، بل اجعلك مسؤولا عن كل ما يحدث ، فاذا شاءت الصدف ان تظهر براءة ساره ورفاقها فانت مسؤول عن ذلك بروحك ، وسأكون اول من يطالب باعدامك ، فهل تقبل ؟

ـ نعم !

ـ واذا غضب جمال باشا ؟!

ـ ان الواجب الوطني يحتم علينا ان لا نهتم لاستياء احد ، واذا شاءت الصدف ان تثبت جرم (ساره ارونسون) فيكون (احمد جمال باشا) اول من يهنىء صاحب الدولة المتصرف !..

ـ اذن أتكل عليك والقي كل مسؤولية في هذا الشأن على عاتقك !.
وماذا تطلب الآن ؟
ـ اولا : اصدار امر للقائد (يونس حيدر بك) قائد المنطقة بأن يعمل بالتعليمات التي سأزوده بها في هذا الشأن !.
ثانيا : ان تحتل قوة من الجند (زمارين) ، وقوة اخرى معمل المشروبات الكحولية في ريشون لزيون (زمارين) !
ـ لك ذلك !
وهنا شكر عارف بك للمتصرف عنايته هذه ، وتوجه الى (الناصرة) وقابل (يونس حيدر بك) وبحث معه القضية ، واتفقا على الخطة الواجب اتباعها لمكافحة الجاسوسية !

● ماذا يجري في منزل ساره ؟

وفي هذا الحين كان بعض الجواسيس في منزل (ساره) يحدثونها عن تطور التحقيق في قضيتهم ، وعن تولي (عارف بك) التحقيق فيها !.
نصحها ليتشانسكي بضرورة مغادرة (زمارين) على احدى الدوارع الانكليزية الى مصر !.
الا ان ساره رفضت هذه النصيحة قائلة :
ـ لنفرض ان الاتراك اشتبهوا بي ، فليس لديهم أي دليل مادي على اشتراكي في هذه القضية ، وقد أخفيت الآلة اللاسلكية كما اخفيت كل الاوراق السرية المتعلقة بمخابرات الشيفرة ، وعلى هذا فليس في امكانهم ادانتي !. اما فراري فسيكون خطرا على شقيقتي (روبيكا) وشقيقي (سام) المقيمين هنا ! وأخشى ان ينتقم منهما الاتراك ، وربما اتهموهما بالجاسوسية واعدموهما ، ولذا فسأظل هنا الى النهاية ، أما انتم ففي امكانكم الابتعاد وعدم التردد على هذه المنطقة ريثما تمر العاصفة !..

ذهبت جهود ليتشانسكي ورفاقه في اقنـــاع ساره ادراج الرياح ، فغادروا القرية ، وبعد مغادرتهم اياها بساعتين داهمت القرية قوة كبيرة من الجنود فاحتلتها ، وكان معمل المشروبات الذي يضم مئات من العمـــال والعاملات لا يـــزال يعمل بنشاط رغم توقف دولاب العمل في مختلف انحاء السلطنة العثمانية ، فاحتله الجنود واخرجوا من فيه من عمـــال وعاملات ، وقاموا بالتفتيش بصورة دقيقة فلم يعثروا فيه لا على الآلات اللاسلكيـــة المرسلة ولا على اي اثر يدل على اشتراك مـــن في المعمل بالعمليـــات الجاسوسية !٠

وتوجهت قوة ثانية فاحتلت منزل (ساره ارونسون) وكل المنـــازل المجاورة له او المتصلة ولو جزئيا بهذه العائلة !٠

وكانت الشمس لم تشرق بعد عندما داهمت هذه القوات قرية (زمارين)، فأفاق الجميع من رقادهم ؛ وكان المجال واسعا لتحري عشرات الاشخاص الموضوعين تحت الرقابة ، وقد جرت التحريات بدقة زائدة ، الا انه لـــم يعثر في احد هذه المنازل على أي اثر !٠

وفتشت (ساره ارونسون) نفسها تفتيشا دقيقا فلم يعثر معها او في منزلها على دليل !٠ وكانت (ساره ارونسون) على اعتقاد وطيد بان الاتراك سيكتفون بهذه التحريات !٠

الا ان ظنونها هذه خابت !٠ فان قائد الحملة ابلغها ان الاوامر التي لديه ، صريحة ، بتوقيفها وتوقيف افراد عائلتها جميعا وسوقهم الى مقـــر القيادة ، وقد فعل ذلك وقادها مع من اوقف من افراد العصابة وزعمـــاء اليهود الى دار المختار حيث كان هناك (جمال باشا المرسينلي) الذي جاء خصيصا ليشهد عملية مطـــاردة الجواسيس وبرفقته (علي فـــؤاد باشا) و (يونس حيدر بك) و (ياسين بك الجابي) !

ولما استدعيت ساره للمثول بين يدي الباشا ورفاقه، استرحمت القائد

السماح لها بالذهاب الى منزلها لارتداء ملابسها ، فاقتنع القائد ، وخابر الباشا بالامر فوافق على ان تذهب تحت الحراسة، وارفقت بالملازم (ابراهيم بك) وبعشرة جنود ظلوا يراقبونها خارجا ، ودخل الضابط برفقتها الى المنزل ثم الى غرفتها ، وهناك التفتت ساره الى الضابط قائلة :

ـ انكم معشر الاتراك تحافظون على العرض كثيرا ، فهل يجوز ان تخلع فتاة ثيابها امامكم ؟

ـ كلا ، ولكن ...

ـ لا خوف من فراري والنوافذ مقفلة ، كما اني لا استطيع ان اخفي شيئا !.

فحول ابراهيم بك ظهره ليمكنها من نزع ثيابها الداخلية وهي تحدثه بقولها :

ـ لقد كنت لطيفا معي ، ولذا سأصارحك بالحقيقة ، وفي امكانك نقلها الى رؤسائك ، فأنا جاسوسة ، وقد ادرت وحدي حلقة الجاسوسية دون ان يكون لي شريك ! فأخواي آرون واليك يشتغلان في مصلحة الجاسوسية الانكليزية ، وقد طلبا مني مساعدتهما في التجسس عليكم ، ففعلت راضية، الا ان بقية افراد عائلتي الذين في دار المختار ابرياء من هذه الحركة واقسم لك على صحة ما اقول بكل ما هو مقدس لدي ، وارجو منك ان تنقل هذه الكلمات حرفيا الى رؤسائك ليكونوا على ثقة تامة مما اقوله لكم !..

ـ ان اعترافاتك هذه يا حضرة الآنسة خطيرة، والادلاء بها الي لا يفيد ابدا ، فالقواد بانتظارك في دار المختار ، وفي امكانك نقلها اليهم بصراحة تامة ليصير تسجيلها ، اما أنا فسأكون شاهدا على اعترافاتك هذه كيلا تعمدي فيما بعد الى انكارها !..

فابتسمت ساره ابتسامة مرة وقالت :

ـ لو كنت عازمة على الانكار لما اعترفت بشيء !..

وكانت ساره منذ طلبت الذهاب الى منزلها قد عزمت على الانتحار ، اذ خيل اليها أن الانتحار هو الطريق الوحيد الذي يسكنها من انقاذ اهلها ، فوضعت مسدسا صغيرا كان لديها ضمن رزمة من القطن خبأتها في غرفة الزينة المجاورة لغرفة رقادها ، وبعد ان ارتدت ملابسها لم يبق لها الا الوصول الى هذا المسدس ، ولهذا استأذنت الملازم (ابراهيم بك) ان يسمح لها بدخول غرفة الحمام الواقعة بجانب غرفة الزينة !..



● وتروج شائعتان في هذا الصدد :

الاولى : هي ان الفتاة ارادت اغراء هذا الضابط الشاب بجمالها ليساعدها على الفرار ، فتتمكن من النجاة !.

● والاخرى : هي انها، بعد أن رأت ابواب النجاة مسدودة في وجهها، ارادت قتل الضابط والانتحار !.

على ان الملازم ابراهيم اعترف لدى جمال باشا ورفاقه قائلا :

ـ ابلغتني الفتاة انها بحاجة ملحة الى دخول الحمام ، فعجبت من امرها هذا بعد ارتدائها ملابسها ، ورأيت في عملها هذا شيئا من المماطلة ، فقلت لها ان الباشا ورفاقه في انتظارنا وليس من المستحسن ان تتأخر ، فابتسمت وقالت ان كل شيء سينتهي في خمس دقائق ، ثم فتحت درج المغسلة وتناولت منه قطعة من القطن لم اتنبه لما تحتويه اذ لم يخطر في بالي ان هذه القطعة من القطن تحوي مسدسا صغيرا ، وما كادت الفتاة تخرج من غرفة الزينه الى الحمام حتى دوى عيار ناري واحد ، فدخلت الحمام فوجدت الفتاة تتخبط في دمائها !..



أثرت هذه الحادثة تأثيرا عظيما بالملازم (ابراهيم بك) الذي خـاف عاقبة الحادث ، وخشي ان يتهم باقترافه الجريمة ؛ ولما كانت الفتاة لم تمت بعد ؛ فقد اوفد احد رجاله الى دار المختـار لينبىء القواد بالحادث ؛ فأسرعوا الى دار (ارونسون) فوجدوا الجاسوسة في حالة النزع الاخير ؛ ولما شاهدتهم قالت :

ــ انا المسؤولة وحدي عن هذه الحوادث ، فأنا فتاة صهيونية صممت على مقاومة السياسة العثمانية وتأييد السياسة الانكليزية التي وعـدت بمنحنا الوطن القـومي في فلسطين ، فتجسست عليكم وقمت بكل هذه الامور بالاتفاق مع اخوي الكسي وآرون ، امـا شقيقي سام وشقيقتي روبيكا فليس لهما دخل في امورنا !..

وبعد ان ناشدت ساره (جمال باشا) ان لا يؤذي اخوتها ، فقـدت رشدها ونقلت الى المستشفى حيث بقيت يومين ثم فارقت الحياة !.

☆

● لم تنته حلقة الجاسوسية التي ترأستها الصهيونية (ساره ارونسون) بانتحار هذه الجاسوسة ، بل تبعتها ذيول وحواش ، فساره رغم ذكائهـا ومهارتها في ادارة هذه العصابة ، ورغم كل الجهود التي بذلتها لاخفـاء جميع الاوراق ، لم تخف دفتر مذكراتها الصغير الذي كانت تدون فيـه حوادثها كل يوم !.. وهذا الدفتر الصغير الذي القته في بئر مـاء قرب المنزل ، عثر عليه في قاع البئر مع كثير من الاوراق التي استخدمتها هـذه الجاسوسة ، ومع ان مياه البئر افسدت محتويات الاوراق، الا انها حفظت دفتر المذكرات اليومية ، فنقل الى مقر الفيلق الثامن مع جميـع الاوراق الخصوصية التي وجدت مع سام وروبيكا ، وفي المختبـر الكيماوي في (عتليت) ، وعهد بفحص هذه الاوراق وترجمتها الى الضابط (عبد الرحمن

بك النصولي) معاون مدير الشعبة الاولى ، فانصرف الى توضيب هــذه الاوراق وترجمتها وترجمة سائر الرسائل الخصوصية الواردة الى (ساره) وأقاربها ؛ ولم يفد التحقيق في كل هذه الامور الا دفتر مذكرات ساره فقد وجدت فيه اسماء الجواسيس والاشخاص الذين تعاونت معهم في فلسطين وبيروت وولايه سوريا ؛ وفي جملة هؤلاء الاشخاص رؤساء الحركــــة الجاسوسية ؛ وهم : ليتشانسكي ؛ ونهمان بلكند ، وجوزف طوبيا !..

وعلى اثر هذا الحادث امر (احمد جمال باشا) باجراء تحقيق علــى نوعــين :

● الاول ــ مع الاشخاص الوارد ذكرهم في مذكرات الفتاة؛ووضعهم جميعهم تحت المراقبة . ومعرفة مقدار علاقاتهم مع ساره !..

● الثاني ــ مطاردة ليتشانسكي ورفاقه الثلاثة ، باعتبارهم زعمــاء الجواسيس ؛ وتوقيفهم !

وقد عهد بالامر الاول الى هيئة برئاسة (خليل رفعت بك) ، وعهد بالامر الثاني الى (عارف بك) الذي تمكن بدهائه ومهارته من معرفــة أسرار هذه القضية والاهتداء الى الطريق التي أدت الى معرفة حقيقة ساره ورفاقهــا !.

●

مطــاردة
الجواسيس الثلاثة

مطــاردات عجيبــة في القــرى
والمدن ... وجواسيس كثيرون !

استدعى مدحت بك متصرف القدس عارف بك ابراهيم وبعد ان هنأه على فوزه بحرارة خاطبه قائلا :

ـ طلب الي صاحب الدولة أحمد جمال باشا ان ابلغكم شكره وتقديره للجهود العظيمة التي بذلتموها في سبيل اكتشاف اسرار هؤلاء الجواسيس ، الا انه يرى ان من الواجب متابعة المساعي لنتمكن من الوصول الى رأس الحية لقطعه ، لان هؤلاء الجواسيس باتوا خطرا عظيما يهدد البلاد والجيش العثماني !..

ثم هناك مسائل اخرى رأينا من الواجب ان تهتموا لها وهي :

اولا : مطاردة هؤلاء الجواسيس الثلاثة ومعرفة رفاقهم !.

ثانيا : معرفة كيفية اتصال الجماعات اليهودية بالعصابة !

ثالثا : ان حوادث الفرار من الجندية قد ازدادت في المدة الاخيرة ، وتدل الاخبار الواردة الينا على ان هؤلاء الفارين يلجأون الى المستعمرات اليهودية التي لا تكتفي باطعامهم ، بل تشجعهم على الفرار ، وتعمد الى اخفاء اسلحتهم لتؤلف منهم قوة عند اللزوم تعمل على ضرب قواتنا اذا تراجعت امام الانكليز ، وعلى هذا ترون ان الموقف بات شديد الخطورة ، وان واجباتنا الوطنية تحتم علينا اكتشاف كل هذه الامور !..

ونظرا لما اعهده فيكم من الذكاء والمقدرة ونظرا لثقة القيادة العليا بكم قررنا ان تقوموا بهذه المهمة الوطنية وثقتنا وطيدة بأنكم واصلون الى هدفكم .

★

وعلى الاثر انصرف (عارف بك) لاتخاذ التدابير اللازمة ؛ فهاجم القرى على الفور ، ومثل خلال اسبوعين ادوارا هامة اقلقت المستعمرات اليهودية ، وجعلت الجميع يقظين حذرين ولكن دون جدوى !.

فقد اتصل به من جواسيسه ان (ليتشانسكي) ورفيقيه في (زمارين)، وانهم يحملون معلومات الجواسيس لتسليمها الى الغواصة، وأكد له هؤلاء الجواسيس ان من يطاردهم قد لجأوا الى معمل الكحول في (ليشون لزيون) ، فهرول الى المعمل بقوة مؤلفة من خمسين جنديا !..

★

اعتاد البدو والقرويون ان يؤموا هذا المعمل مرة كل اسبوع حاملين معهم محصول اراضيهم من العنب لبيعه الى اصحاب المعمل ، وصادف في الوقت الذي هاجم فيه (عارف بك) المعمل ان كان فيه بعض هؤلاء البدو، ففتشهم تفتيشا دقيقا وصرفهم ، ثم لفت نظره ثلاثة اشخاص آخرين نائمين بجانب شجرة كبيرة لا يتحركون رغم الجلبة ، وكانوا يرتدون الملابس البدوية وقد ارسلوا لحاهم على الطريقة البدوية ، فاقترب منهم ورفسهم برجله ، فهبوا من رقادهم مذعورين !..

ولما سألهم عن هويتهم قالوا انهم من بني صخر جاؤوا لبيع محصولهم من الحبوب ؛ وكانوا يتكلمون بلهجة بدوية ، فلم يداخله الشك ، فأمرهم بالانصراف ، فهرولوا مسرعين ، ولم يعرف انه افلت بنفسه من وقف جهوده على مطاردتهم !!

● الحسناء ليا تنبو

● (ليا تنبو) فتاة جميلة الصورة ، رشيقة ، ذات جسد رائع !. ولكنها رغم جمالها الخلاب ظلت بعيدة عن الجاسوسية ، ويرجع

السبب في ذلك الى ان هذه الفتاة احبت طبيبا بيروتيا حبا شديدا ، فبادلها الحب ، وعرفت في ذلك الوقت بأنها خطيبة لهذا الطبيب !!

وقد تعرف اليها (احمد جمال باشا الكبير) ، عندما زار مستعمرة (دوران) القريبة من (الرملة) مسقط رأس هذه الفتاة ، فأحبها حبا جنونيا ، واراد الحصول عليها ، الا ان الفتاة ابتعدت عنه ، فاحترم عفتها وانصرف عنها !..

ووالد (ليا) من الاثرياء الصهاينة الذين كانوا يتاجرون بالذهب ، وكان على اتصال بجواسيس اليهود الذين يخدمون الانكليز !.

وكان ان اوقفه الاتراك قبل هذه الحوادث التي مر ذكرها في عدة مناسبات تتعلق بالاتجار بالذهب ، وصدرت الاوامر الآن باعتقاله ايضا ، الا انه توارى عن الانظار ، فحكم عليه بالسجن سنة ونصف سنة غيابيا ، واكتسب هذا الحكم الدرجة القطعية !!.

وفي نفس اليوم الذي عجز فيه (عارف بك) عن توقيف الجواسيس الثلاثة في معمل (ريشون لزيون) ، وردته الاوامر بمهاجمة مستعمرتي (عين قارا) و (دوران) لتوقيف بعض اليهود وبينهم والد (ليا) بتهمة مساعدة الجند على الفرار واخفائهم في هاتين المستعمرتين !.

★

وجاء (عارف بك) الى قرية (عين قارا) ، وتمكن فيها من توقيف عشرات من الجنود الفارين وبعض اليهود المطلوبين بمساعدة الجواسيس ، وارسلهم مخفورين الى (الناصرة) !. وفي الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه ركب عارف بك جواده وتبعه خمسون خيالا الى قرية (دوران) .

● الصهاينة يعرفون كل شيء !

في الساعة الثانية بعد منتصف الليل كانت الاخبار الموثوق بها الواردة

اليه قبل مغادرته (عين قارا) بنصف ساعة تفيد ان والد (لياتنبو) ، واكثر من مئة شخص من الجنود الفارين ، واليهود المطلوبين من القضاء والسلطة العسكرية ، سيجدهم فور وصوله !٠

الا انه ما كاد يداهم القرية ويتحرى دورها حتى وجدها خالية من جميع الذين يطلبهم ، مما دله على ان اليهود عرفوا بسقدمه قبل وصوله الى القرية ! فقلق واسقط في يده ، لاسيما ان الفجر انبلج وهو على وشك العودة من القرية بخفي حنين !٠

وفيما هو يجمع رجاله في طرف القرية ، استعدادا لمغادرتها ، تقدمت امرأة مسلمة من سكان احد اكواخ (دوران) ، من ضابط ، وسألته عن قائد هذه المفرزة ، ولما ارشدها اليه ، تطلعت المرأة الى عارف بك وقالت :

ــ انك تبحث عن الخواجه (تنبو) ، أليس كذلك ؟

ــ نعم ، أتعرفين شيئا عنه ؟!

ــ نعم ، فلليهود في هذه القرية ارصاد معروفون يقومون بالمراقبة طول الليل ، وقد اتخذوا من هذه القرية قاعدة لاخفاء جواسيسهم وتحريض الجنود على الفرار من الخدمة العسكرية،وفي كل مساء يعقدون الاجتماعات لتدبير المؤامرة على الحكومة ، وقبل قدومكم بساعة ، جاء الرسل يحملون اليهم نبأ قرب وصولكم ، فأخفوا جميع الغرباء الذين في القرية ومن بينهم الخواجه (تنبو) !٠

ــ واين اخفى هؤلاء الخواجه (تنبو) ؟

ــ لا اعرف تماما ، انما انا على ثقة وطيدة بأن الرجل في منزل قريب من منزله ، واذا عرفت كيف تشدد النطاق على هؤلاء تمكنت من توقيفه فورا !٠

أمام هذه المعلومات،جمع عارف بك قواته وطوق بها المنطقة المذكورة،

ثم ارسل يستدعي اليه المختار ، ولما لبى هذا الاخير الدعوة أخذه جانبا ، وقال لـــه :

ـ لقد عرفت المكان الذي اخفي فيه الخواجه (تنبو) ، فعليـــك ان تحضره الي فورا والا اعتبرتك مسؤولا عن اختفائه !.

قال عارف بك جملته هذه ولم يزد عليها ، وترك المختار في مكانـــــه وذهب الى الغرفة الثانية حيث كانت الآنسة ليا ، وراح يهددها بقوله :

ـ لقد ارشدني المختار الى منزل والدك ، وقد وعد باحضاره ، فأرى ان تحضريه انت بنفسك كيلا يؤخذ بجريرة المقاومة !.

ـ ماذا ؟. هل قال لك المختار ان والدي هنا ؟

ـ نعـــم !

ـ ولكن ، ألم يقل لك شيئا عن سائر الجواسيس الذين اخفاهم ؟!

وكان المختار خارجا من الغرفة عندما سمع جملة الآنسة ليا ، فعمل لها اشارة سرية حملتها على السكوت ظنا منها ان المختار لم يش بها !.

الا ان المختار أراد باشارته هذه ان يقول لها : يجب ان تضحــــي بوالدك في سبيل مواطنيك !.

وبعد نصف ساعة ، لما رأت المختار يعود ومعه والدها ، نقمت عليه وعلى مواطنيها جميعا ، وارادت ان تفشي كل ما لديها من اسرار في سبيل انقاذ والدها ، فتحولت الى عارف بك وقالت له :

ـ ان والدي لم يكن جاسوسا ، وجرمه لا يوجب توقيفه ، وهو لو استسلم قبلا لبرأته المحكمة ، الا انني سأفضي اليك باسرار جواسيسنـــا مقابل اخلاء سبيل والدي ، فهل تقبل بذلك ؟.

ـ نعم !.

ـ ألم تشاهد في (ريشون لزيون) ثلاثة من البدو كانوا نياما تحت

جذع شجرة هنـاك ؟

ـ بلى !.. ولكن اية علاقة لهؤلاء البدو بالجواسيس وهم من عرب بني صخر ، وقد تأكدت لي حقيقة امرهم ؟!

ـ انك على خطأ، لأن هؤلاء البدو ليسوا الا (ليتشانسكي) ورفيقيه الجواسيس الذين تطاردهم والذين اقلقوا مضجع القيادة العامة !!

ـ أ ...

ـ نعم هذه هي الحقيقة التي اكدوها لنا بأنفسهم عندما جاءوا الى هنا في اليوم التالي لاخلاء سبيلهم ، وكانوا يضحكون منكم بملء اشداقهم لانكم أخليتم سبيلهم بأنفسكم !..

ـ والآن الى أين ذهبوا ؟

ـ لا أعـرف !

✶

ودارت مناقشة طويلة بين الفتاة وعارف بك ، وقد ندمت الفتاة على خيانتها بني قومها ، لاسيما ان المختار كان ينظر اليها نظرات تدل على القلق والتهديـد !..

الا ان عارف بك ما لبث ان ادرك هذه الاشارات المتبادلة بين المختار والفتاة ، فأمر بابعاد الاول الى الخارج، وانصرف الى اقناع الفتاة بضرورة الاعتراف له بالمعلومات الحقيقية عن العصابة فقالت :

ـ من المؤكد ان (ليتشانسكي) ورفيقيه ، بعد ان باتوا في قريتنا (دوران) يوما وليلة ، توجهوا الى جهات الجبهة ، وانا على اعتقاد وطيد بأنهم سيعودون الى هنا لان عملهم محصور فيها !..

ـ وهل يلبثون متخفين بملابس البدو ؟!

ـ هذا ما اعتقده ، لانهم رأوا في هذا التخفي الطريقة الوحيدة التي تخفيهم عن عيون الشرطة .

وهنا شكرهـا عارف بك لتصريحها هذا ، وتوجه الى (عين فـار) ، وابرق منها الى مدحت بك متصرف القدس يشعره بما وقع له مع الآنسة (ليا تنبو) ، والوعد الذي قطعته بان توفد شقيقها لمساعدته في توقيـف الجواسيس الثلاثة اذا نالت وعدا بانقاذ والدها !.

وقد تأخر مدحت بك في الجواب على هذه البرقيـة لاضطراره الى مخابرة قائد الجيش الرابع ، حتى اذا جاءه الجواب وعاد به الى (دوران) ومعه والد الفتاة ، لم يجد من اثر لا لليا ولا لشقيقها ولا للمختار الذيـن توارو عن الانظار !!

✶

والسبب في اختفاء هؤلاء ان (ليا) ، بعد مغادرة عارف بك للقرية ، عاد اليها المختار ، ولما علم منها بما اقدمت عليه من خيانة لبني قومها، خاف العاقبة ، فطلب الى (ليا) ان ترافقه مع شقيقها الى قرية (عـين دبول) ، وظلوا مختفين في هذه القرية لا يعلم الترك من امرهم شيئا الى نهايـة الحرب العالمية ، فظهرت (ليا) وقد ارادت ان تضحي بوالدها الذي ظل طوال هذه المدة في السجن ، حتى بعد توقيف الجواسيس ، كيلا يرتكب اية خيانة !..

✶

أما عارف بك فلم يقنط من هذا الفشل الذي لحق به للمرة الثانية ، بل اراد ان يتتبع اثار الجواسيس حتى ولو اضطر لاجتياز الحدود الـى المنطقة الانكليزية ، ولهذا قصد منطقة الحدود لتحري اثار هـؤلاء الجواسيس !.

● اين ذهب الجواسيس ؟

نعود الى (ليتشانسكي) ورفيقيه، فانهم لم يختبئوا امام هذه المطاردة،

بل قصدوا ، على اثر هذا الحادث . الى قرية (ام درمان) ، وهناك لجأوا الى الشيخ عباس الجرادي، وهو من قبائل البدو ، وقد اعتاد ان يخدم كل من يعطيه ما هو بحاجة اليه من دراهم ، وطلبوا منه ان يجهز لهم قافلة مؤلفة من عدة جمال وبعضا من رجاله ، ليتمكنوا بهذه الصورة من الوصول الى المعسكرات التركية كأنهم بدو جاءوا لبيع محصولهم !..

وكانت غايتهم من وراء هذا التدبير ، درس حالة القوات التركية واستعداداتها ، ثم السفر الى الجبهة لتزويد الانكليز بهذه المعلومات التي طلبوها منهم !..

لبى الشيخ طلب هؤلاء على الفور ، وقبل شروق شمس اليوم التالي كانت هذه القافلة في طريقها الى الجبهة الحربية، والغريب انها غادرت القرية في الوقت نفسه الذي كان فيه عارف بك يدخل القرية ، وقد شاهده الجواسيس وحيوه بجرأة دون ان يخطر بباله ، هذه المرة ايضا ، انه أمام الاشخاص الذين وقف نفسه لمطاردتهم، وقد افلتوا من بين يديه مرة اخرى!

● العربي شريف دائما

بينما كانت خيانات الضباط الطامعين في المال تتوالى ، كان عدد كبير من العرب الذين يتهمهم بعض المؤلفين الترك بالخيانة وعدم الاخلاص ، يظهرون اخلاصا عظيما في اداء الواجب .

ففيما كان الجندي محمد اوغلو خليل ابراهيم (أي خليل ابراهيم بن محمد) من اهالي قرية (طرون) التابعة للقدس ، يقوم بواجبه في حراسة الشواطىء البحرية بالقرب من (عتليت) ، المنطقة الموبوءة بالجواسيس ، وكان الوقت ليلا ، شاهد على الشاطىء نارا تشتعل بصورة اقلقت باله ، فاقترب منها من غير ان يدع مضرم النار يشعر به ، فوجده يشعل عيدانا من

الكبريت الذي يلهو به الاطفال ويرسل نورا اخضر ، وازدادت ريبته عندما حول بصره الى البحر فشاهد بصيص نور ينبعث منه ، فاعتقد ان الرجل جاسوس يخابر الاعداء ، فهاجمه من الوراء ، وضربه بعقب بندقيته فألقاه ارضا ، ثم تناول حبلا كان معه فربطه به وجره الى مقر القيادة !.

وفي الطريق حاول الرجل المجهول ان يرشو الجندي فاعطاه خمس ليرات ذهبية ليخلي سبيله ، ثم ضاعف المبلغ فجعله ٢٥ ليرة دون جدوى ، لان الجندي الشريف اصر على ايصاله الى قائده ، وسلمه اياه مع الدراهم التي حاول رشوته بها !!

● توقيف شبكة من الجواسيس

في اليوم نفسه امر (يونس حيدر بك) قائد موقع الناصرة ، الذي علم بالحادث ، بتحري قرية الرجل الذي تبين انه يدعى (يعقوب ابراهيم خابون) ، وكل من له علاقة به ، وقد بلغ عدد الموقوفين آنذاك ٢٥ شخصا بينهم (اسحق شواره) ، صدر الامر فورا بنقلهم الى الناصرة تحت حراسة قوة من الجند !..

كان اسحق من الجواسيس الخطرين ، وقد وجدت في منزله اوراق هامة تثبت علاقته بساره وبخابون المذكور ، الا انها لا ترشد التحقيق الى بقية الجواسيس ! وكان الملازم ابراهيم بك ، قائد مفرزة خفارة السواحل، على معرفة تامة بأهمية هذا الرجل ، فوضعه مع (يعقوب خابون) تحت حراسة خاصة ، وتحت اشرافه !

وعندما توسط قطار السكة الحديدية الطريق ، طلب اسحق السماح له بدخول المرحاض ، فارسل اليه تحت حراسة جندي ، وكان المرحاض قائما في طرف القاطرة، وفجأة دفع اسحق باب المرحاض بحيث بوغت الجندي

المولج بحراسته ، وقبل ان ينتبه الجندي الى هذه الحركة ، كان (اسحق شواره) قد القى بنفسه بين القاطرتين ، فمرت عليه الدواليب فمزقتـه شر تمـزيق !٠٠

وعندما توقف القطار، ونزل الضابط ابراهيم بك ليتفقد الرجل، وجده جثة ممزقة الاجزاء ، فقد آثر الرجل الانتحار على هـــذه الصورة حتى لا يجبره المحققون الاتراك على الاعتراف باسماء رفاقه !٠

● التحقيق مع الجواسيس !

وقد عهد الى هيئة خاصة بالتحقيق مع هؤلاء الاشخاص ، وبصـورة خاصة مع (يعقوب ابراهيم خابون) ، فأصروا على الانكار وعلى عــدم معرفتهم اي امر من امور الجواسيس!٠وقد عذب هؤلاء تعذيبا مرا لحملهم على الاقرار ، ومنعوا من الطعام دون جدوى ، ويظهر ان يعقوب يئس من براءته ، فتوسل الى (يونس حيدر بك) معلنا اياه عزمه على الاعتراف بكل شيء ، فاستدعاه القائد الى حجرته ، فقال :

ـ مولاي ، انني بريء ، فانظر كيف يعذبونني لحملهم اياي علـــى الاعتراف بما انا بريء منه !٠٠

ـ انك تزج بنفسك ، يا ولدي ، في مأزق خطر ، فأرى من الصواب ان تعترف بالحقيقة لتنجو بنفسك !٠

ـ وهل تعفون عن حياتي ؟

ـ اذا رويت لنا الحقيقة التامة اعدك بالحصول على عفو عنك !!

ـ انني رجل بريء وعندي اولاد ولست مجرما ، فاذا عفوتم عني اعترف لكم بكل شيء ، والا فاني افضل السكوت !٠٠

ـ لقد وعدتك !

ـ اريد وعدا خطيا من (جمال باشا) !

عندها اراد يونس (حيدر بك) مسايرته الى النهاية ، فأجابه بأنه سيفعل ذلك امامه ، وتناول سماعة الهاتف وخاطب (احمد جمال باشا) ﻗﺎﺋﻼ : ان الرجل يشترط العفو عن حياته لقاء اعترافه ، فأجابه بالايجاب ، والتفت يونس حيدر بك الى الرجل وقال :

ــ هاك وعدا قطعيا من القائد العام ، فتكلم !..

ــ الرحمة يا مولاي ، لقد قلت لكم اني سأقول الحقيقة ، اي الحقيقة التي اعرفها !.

اننا لا نعرف شيئا ، لانهم يستخدموننا كالعبيد ؛ وكل هذه المصائب التي تنزل بنا هي منهم ، فاذا نحن البائسين لم ننفذ اوامرهم يطردوننا من املاكهم ، ويقطعون ارزاقنا ، ولهذا نخاف منهم ! ... انني اخاف منهم يا مولاي ! ...

ــ لا تخف !.. اتعتقد انهم اقوى من الحكومة ؟

ــ نعم يا مولاي ، فقد اخذونا تحت ادارتهم ، ووضعونا في قبضة ايديهم ، فلا نستطيع معارضتهم ! الحكومة نفسها لا تسمع شكوانا عليهم، ولكن تسمع شكواهم على من يريدون !..

ــ ومن هم هؤلاء ؟

ــ مولاي انني بريء !..

وذهبت جهود يونس حيدر بك لحمل الرجل على الاعتراف بالاسماء ادراج الرياح ! فأعاده الى السجن على ان يستدعيه في اليوم التالي لانتزاع هذا السر منه !. اما يعقوب فانه ادرك خطورة الحالة ! فقرر الانتحار ، وفي صباح اليوم التالي دخل الى المرحاض كعادته تحت حراسة الجندي ، الا انه تأخر في الخروج منه ، الى ان سمع الجندي حركة غير اعتيادية في داخله ، فحاول فتح الباب فاذا الرجل قد انتحر بأن ربط حزامه

الجلدي بنافذة المرحاض الحديدية ، ثم زرد طرف الحزام حول عنقه فخنقه بعد عذاب اليم ، ولما فتح الجند باب المرحاض وجدوا الرجل جثة هامدة وقد كتب رقعة يقول فيها (تعذبت كثيرا ، الا ان الخيانة للصهيونية الرهيبة فيها خطر على اولادي •• كنت اشد خوفا منها على اهلي ، ولذا قررت الانتحار) !••

● القبض على الجاسوس !

ومع هذا فقد مكنت هذه التحقيقات، التي جرت في الناصرة، القيادة، من معرفة هوية جواسيس (منطقة زمارين) و (عتليت) ، فهرع الجنود لمطاردتهم بصورة جدية،وشرعوا يوقفون كل بدوي يشتبهون به ويقودونه الى عارف بك الذي اصبح يعرف هيئتهم ، وفي النهاية تمكنوا من توقيفهم وهم (ليتشانسكي) وهو من كبار زعماء اليهود البولونيين ، ومن العلماء المعروفين ، يحسن عدة لغات حية ويعرف العربية والبدوية منها على اختلاف لهجاتها ، وكان يبدو بمظهر نبيل يدل على انه من الشخصيات القوية !•

● (جوزيف طوبين) : رجل معتدل القامة ذو عينين شهلاوين ، يظهر بمظهر العظماء ، وليس في حركاته وسكناته ما يريب ، فهو ساكن هادىء يجيد تمثيل دوره كأمهر الممثلين ، وينظر الى المحققين معه كما ينظر الصديق لصديق قديم يعرفه من زمان ، وله اسلوب في الكلام والحديث يخيل الى من يسمعه انه ليس امام جاسوس حقير ، بل تجاه شخصية بارزة ذات افكار ممتازة !••

● (بهمان بلكند) : رجل طويل القامة ، معتدل الجسم ، ذو رأس كبير وعينين لا تستقران ، الا اذا استقر جسمه ، يلعب جفنيه بصورة مستمرة ، ويتكلم بحركة سريعة ، ومع هذا فهو متحكم بارادته لا يتكلم الا بما يريد !••

وقد ارسل هؤلاء الجواسيس الثلاثة الى دمشق بحراسة ٢٥ جنديا بقيادة ثلاثة ضباط ، فوصلوها بعد ثلاثة ايام ، وأرسلوا فورا الي مقر الفيلق حيث عرضوا على محمد جمال علي باشا وعلي فؤاد باشا اللذين حققا معهم مدة طويلة ثم احيلا الى هيئة مؤلفة برئاسة خليل رفعت بك حققت معهم مطولا واجبرتهم في نهاية تحقيقها على الاعتراف بجرائمهم !٠٠

● مئات من الجواسيس الصهاينة !

وقد كان من جراء هذه التحقيقات التي جرت في دمشق ان اتسعت حملة شعب الاستخبارات ورجال الشرطة ، فاعتقل في بادىء الامر ، في (الجاعونة) ، كل من كوهين بنجامين ، وسامي روتبرغ ، وجول ايزاك ، وايزاك شالوم ، وقد تبين ان لهؤلاء علاقة بهذه الحوادث ، ثم اعتقلت في قرية « كفرقنه » قافلة اخرى من الجواسيس بادارة واينبرغ ، واخرى في طبريا بقيادة كوهين انسول !٠

وقد اعتقل في بضعة ايام اكثر من ٣٠٠ يهودي حتى اضاع هذا العدد من التوقيفات الوجهة الحقيقية لمعرفة هوية الجواسيس الذين غصت بهم سجون دمشق ، ولم يبق في هذه السجون مكان لغيرهم ، حتى اضطرت القيادة الى وضعهم في مراكز اخرى تحت المراقبة الشديدة ٠ ولم يبق من عمل للقيادة ولرجال الشرطة الا حراسة هؤلاء الصهاينة ومراقبة كيفية سجنهم ونقلهم من سجونهم الى دواوين التحقيق الكثيرة التي شكلها الديوان الحربي العرفي !٠

وقد خشي (تحسين بك) والي دمشق عاقبة هذه الامور فأرسل تقريرا ضافيا بالبرق الى قائد الجيش الرابع يشكو اليه امتلاء سجون دمشق بهؤلاء اليهود ، وازدحام كل قطار قادم من حيفا بالعشرات منهم ، معلنا

بصراحة انه بات يخشى اذا استمرت الحال على هذا المنوال ان يؤتى بجميع يهود فلسطين الى دمشق ، طالبا وضع حد لهذا كله خيفة ان ينتهي الامــر باليهود الى الهرب !.

راقت هذه الملاحظات لقائد الجيش الرابع ، فأحالها الى قائد الفيلــق الثامن (محمد جمال باشا) ملحا عليه بضرورة الاسراع في حل القضية !.

الا ان قائد الفيلق الثامن كان يرى ان الموقف في هذا الوقت الــذي تحرج فيه مركز الجيش في الجبهة يوجب مثل هذا التدبير ، فأبلــــغ والي دمشق وقائد الجيش الرابع انه في حال الاستمرار بمثل هـــــذه الحركات العدائية المشتبه بها والتي تهدد سلامة الجبهة ، فان قيادة الفيلق الثامــن تضطر الى اتخاذ تدابير اشد من التدابير المتخذة حاليا ، وان سلامة الجبهة توجب ذلك !.

ثم امر الديوان الحربي بالاسراع في النظر بالقضية ، فاجتمع حــالا وحكم على الجواسيس الثلاثة بالاعدام ، ورفعت اوراق القضية الى (محمد جمال باشا) ، فأقرها ، وعين اليوم التالي لهذا التصديق موعدا لتنفيذ حكم الاعدام بهم شنقا في ساحة المرجة بدمشق !.

● وصية الجواسيس

في الساعة الثالثة من صباح اليوم المعين لتنفيذ حكم الاعدام جاء النائب العام ممثل الديوان ، وقائد موقع دمشق، الى السجن العسكري لاخذ افادة الموقوفين والاستماع الى وصيتهم الاخيرة ، فاستدعى في بادىء الامـــــر (ليتشانسكي) ، وبعد أن تبلغ قرار تصديق حكم الاعدام بحقه ، قال :

ـ انني لست آسفا علي هذه الحياة ، وقد كنت انتظر هذه النتيجة ، ولذا اعددت وصيتي سلفا ، وهاكم ثلاثة كتب الى زوجتي وولدي واحــد

اصدقائي، فأنا لا اكتمكم انني كتبت الى زوجتي اواسيها في مصابها بفقدي متوسلا ان لا تتأثر لانني لا اموت موت الجواسيس الذين يشتغلـــون لحساب الغير بل اموت في سبيل الصهيونية !• وقد تركت لها ٥٠٠ لـــيرة انكليزية هي كل ما املك ؛ راجيا منها ان تعتني بتربية ولدي ، وان تفهمه انني قمت بواجبي نحو الحركة الصهيونية ؛ وان عليها ان تربي ولـــدي وتدعوه الى اقتفاء اثري في الحياة التي سرت عليها ؛ وان يضحي بنفسه في سبيل الحركة ؛ وان يبذل كل ما في استطاعته لتحقيـــق الوطن القومي في فلسطين !!

ونصحت لزوجتي بل اوجبت عليها ان تتزوج فورا من صـــديق لي ، ذكرت لها اسمه ، لتعمل معه على تربية ولدي !!

اما الكتاب الثاني فهو بالمعنى نفسه ، وفيه اخبار لصديقي ان يقتـــرن بزوجتي ويعمل معها على تربية ولدي !•• أما الكتاب الثالث فهو لـــولدي الطفل ، وقد خاطبته فيه ، عندما يصبح شابا ؛ ان يقرأ كتابي هذا الـــذي يجب ان يكون دستورا له في حياته القادمة !!

اما (نهمان بلكند) ؛ فقد مثل هادئا امام الهيئة وقال :

ــ لقد كتبت وصيتي ، واليكم هي ، فهي معنونة باسم رئيس حاخامي الطائفة الاسرائيلية في القدس ، وقد اوصيته فيها ان يبلغ عائلتي انني قمت بواجبي نحو الحركة الصهيونية ؛ ولدي ١٥٠٠ ليرة انكليزية هي كل ثروتي اقفها لاول رجل يبشر عائلتي بتحقيق الوطن القومي الصهيوني في فلسطين!!

أما زوجتي واولادي فلا اترك لهم شيئا ، اذ عليهم ان يعملوا بكـــل قواهم لتحقيق الغاية التي ضحيت بنفسي لاجلها ، وان يعتبروني رمزا للعمل في سبيل الصهيونية ، وعليهم ان يسيروا على هذه الخطة !•

اما انتم ايها الاتراك فاني اسامحكم، لانكم قمتم بواجبكم الوطني كما

قمت انا ، وانما على امتي ان تقتفي اثري في هذا السبيل الى ان تصل الى هدفها المنشود !!

اما (جوزيف طوبين) فقد قال :

ــ انا روسي الاصل ، وقد هاجرت من مسقط رأسي وتركت كل حياة رفاه وسعادة ومستقبل حسن يترقبني هناك في سبيل تحقيق فكرة الوطن القومي اليهودي ، وفي سبيل هذه الغاية اشتغلت مع الانكليز الذين وعدونا بتحقيق هذا الوطن ، ولست نادما ابدا على ما بدر مني في هذا الصدد ، وفي امكانكم ان تفعلوا بي ما تشاؤون !.

اما وصيتي فهذه هي ، وقد كتبتها لزوجتي واولادي الذين اتركهم للحركة الصهيونية التي لها ان تفعل بهم وتقرر مستقبلهم ومصيرهم كما تشاء!!



وبعد هذا حضر حاخام دمشق الى السجن ، وانصرف الى سماع وصيتهم وتشجيعهم لملاقاة ربهم في ذلك اليوم ، ثم صدرت الاوامر بنقل هؤلاء الثلاثة الى ساحة الاعدام ، فامتطوا سيارة السجن الى ساحة المرجة التي كانت محاطة بالجنود ، وهناك نفذ بهم حكم الاعدام، وبذلك قضي على حياتهم وانتهت الرواية التي مثلها هؤلاء الجواسيس ، وكانت احدى اوائل الحركات الصهيونية التي جعلت اغتصاب فلسطين هدفها !!.

اما بقية الجواسيس الذين اعتقلوا بسبب هؤلاء الثلاثة ، فان الديوان الحربي لم يجد في اعمالهم ما يوجب ادانتهم، الا انه وجد من المستحيل اخلاء سبيلهم واعادتهم الى البلاد التي خانوها ، فتقرر ابعادهم عن فلسطين !.

●

جواسيس الصهيونية
في بيروت ولبنان

مطـــــاردات ومغامـــرات
جاسوسية تشبه الاساطير!

في الوقت الذي كانت تجري فيه هذه الامور في دمشق كان جواسيس الانكليز من اليهود قد حولوا مركز عملهم من دمشق الى بيروت ، لانهم وجدوا في هذه المنطقة ارضا صالحة لاتصالهم بالانكليز بعيدة تمام البعد عن المراقبة !!

فالتقارير الواردة الى رئيس الشعبة الاولى في الجيش الرابع دلت على ان هناك نفرا من الجواسيس اليهود الذين حولوا قاعدة تجسسهم ومخابراتهم للانكليز من فلسطين الى بيروت ، ولهذا عقد اجتماع في مقر القيادة تقرر فيه اتخاذ تدابير شديدة ، وعهد بذلك الى (كاظم بك) مفوض مخفر (ميناء الحصن) !

الا ان كاظم بك لم يكن ذا مقدرة تساعده على اكتشاف اسرار الجواسيس ، لا سيما وان الجميع كانوا يعرفونه ، ولم يكن يخرج من المخفر الكائن على رأس محلة (ميناء الحصن) الا بعد ان يهبط الظلام ، لانه لم يكن يريد قط ان يغادر منطقته التي تتجول في جهاتها الحسان في سبيل الوظيفة ، ومع هذا فهو لا يريد ان يظهر نفسه بمظهر العاجز امام رؤسائه وقائد الفرقة ٤٣ ، فأرسل في ذلك الوقت تقريرا يدل على سخافته ، اذ اورد في هذا التقرير انه « بينما كان مارا من شاطىء عين المريسة لفتت نظره اشارات انوار منبعثة من الجامعة الاميركية بصورة متقطعة ، وان مثل هذه الاشارات تكررت في اليوم الثاني والثالث، ولما لم يكن في ميسوره ان يفعل شيئا فقد اكتفى بذلك » !

ومع ان هذا التقرير يدل على سخافة مرسله ، فان المديرية العامة للشرطة لفتت نظر الوالي (عزمي بك) الى هذا الامر، ثم اجري تحقيق دقيق

في الامر تبين منه ان المولج بادارة المرصد الفلكي كان يدخل مساء الى دائرة الرصد ، ويضيء النور المتحرك ، فيعطي هذا النور الاشارة التي فنها المفوض مخابرات سرية بين احد الجواسيس المختبئين في الجامعة الاميركية. وبين الانكليز !!

● فشل جديد !

وعند هذا العجز الذي اظهره المفوض ، عهد بأمر مراقبة هؤلاء الجواسيس الى (عثمان بك) ، رئيس ميناء بيروت ، وهذا بدوره كان يرى ان الطريق الوحيد الذي يمكنه من الوصول الى هؤلاء الجواسيس ينحصر في مراقبة الجامعة الاميركية !. ولهذا حصر همه في مراقبة كل من في هذه الجامعة !.

الا انه في الوقت التي كانت تجري فيه هذه التبدلات ، وفي الوقت الذي كانت فيه جهود المولجين بالمراقبة لا تتعدى الجامعة الاميركية ، كان الجواسيس الحقيقيون يشتغلون بصورة جدية في بيروت ، وفي مكان قريب من دوائر الحكومة نفسها !.

● ضابط جمال باشا !

وقف شاب يحسن اللغة التركية امام احد جنود الدرك القائمين بحراسة الساحل في صيدا ، وخاطبه بالتركية قائلا انه من ضباط اركان حرب (احمد جمال باشا) ، وانه قادم سرا لتفتيش وحدات المناطق الساحلية !!

ومع ان القانون لا يوجب على المفتش ان يعرف الجندي بنفسه فان هذا الجندي صدقه ، خصوصا انه يعرف اللغة التركية وانه رأى محدثه يرتدي ملابس الضباط !!

وفيما الجندي يقف حائرا امام هذا الضابط المفتش ؛ ظهر (سليم بك صاصي) . من اثرياء صيدا ؛ وكان قادما الى بستانه هناك ؛ فأراد انقاذ الجندي ؛ فاقترب من الضابط يحييه ويدعوه الى بستانه في جهات جسر الاولي في صيدا حيث اكرم وفادته !.

ولما هم الضابط المفتش بالانصراف تعجب سليم بك كيف ان ضابطا يقوم بتفتيشه سيرا على قدميه في مثل ذاك الوقت ؛ ومع هذا لزم الصمت لانه لم يشأ في ذلك الظرف الذي تعددت فيه الحوادث المفجعة ان يتدخل في امور لا تعنيه !!

اما الضابط فقد سار على قدميه الى مخفر (الناعمة) ؛ فتفقده واستعرض جنوده ؛ وسأل عن عددهم ودرس احتياجاتهم وسجلها في مفكرته ؛ ثم امر باستدعاء مختار القرية التي كانت بعيدة عن المخفر ، ودرس معه حالة هذه المنطقة ، ثم توجه الى (السعديات)، وهناك تفقد المخفر، وزاد جاويشه في اكرامه ودعاه الى احدى المقاهي وادب له مأدبة فخمة ، وبات تلك الليلة هناك !.

وفي اليوم التالي تابع مسيره الى (الدامور) ، فمخفر (خلده) الذي كان مشيدا على رابية تجاه (خان خلده) ، فتفقده ايضا ، ومنه جاء الى بيروت !!



وكان هذا الضابط قادما من حيفا وقد طاف كل هذه المخافر وتفقدها بدقة واشرف على حالة جنودها ، وكانوا جميعهم في حالة مؤسفة ، وقد وصف له هؤلاء حالتهم واحتياجاتهم وضائقتهم باسهاب كلي وهم على اعتقاد وطيد بانهم يحدثون مفتشا من ضباط اركان الحرب !!

ويظهر ان هذا الضابط ، بعد ان تعرف على حقيقة حالة القوات المولجة

بحراسة وحماية السواحل الممتدة من حيفا الى بيروت ، اراد ان يدرس حالة القرويين هناك ، فمر على القرى الساحلية ، فوجدها شبه خالية من السكان ، لان الجميع كانوا في حالة من الفاقة لا تمكنهم حتى من تأمين احتياجاتهم للغذاء !!

● في المطرانية الارثونكسية

وكانت آخر مرحلة لهذا الضابط المجهول ، المطرانية الارثوذكسية لجبل لبنان ، التي حط رحاله فيها،فانه بعد ان اجتاز صحراء (الشويفات)، عرج عند وصوله الى حدود (الحدث) ، على دار المطرانية ، ونزل على مطرانها ، وقدم له نفسه بصفته من ضباط اركان حرب (احمد جمال باشا)، وكان المطران يعرف شيئا من اللغة التركية ، وقد انزل ذلك الضابط في ضيافته تلك الليلة ، وتحدث اليه في شتى الشؤون ، وقد استدرجه هذا الضابط لبيان موقف طائفته واهمال الحكومة امرها ، وعدم اعطاء رجال الدين الارثوذكس الحبوب ومواد المعيشة التياغدقها الباشا على البطريركية المارونية !!

وفي صباح اليوم التالي غادر هذا الضابط دار المطرانية واعدا المطران بايصال شكواه الى الباشا !!

● اكتشاف الامر !

مضى على مرور الضابط المجهول من هذه المنطقة اسبوع كامل لم يحقق خلاله مطاليبهم ولم يرسل اليهم ما وعدهم به من اصلاحات، وقد اراد قائد مخفر (الناعمة) ان يلفت انظار القيادة في (صيدا) الى هذا الامر ، لا سيما ان مختار (الناعمة) أبى تنفيذ أوامر الضابط المفتش بتجهيز

المخفر بالاسرة التي فرضها عليه للجنود الذين ينامون على الـــواح من الخشب حاشدة بالبق ؛ فوضع تقريرا بالحادث رفعه الى قائد البلـوك في (صيدا) يشكو فيه مختار (الناعمة) لعدم صدوعه لامر المفتش طالبـــا الاوامر اللازمة في هذا الشأن !!

وقد بوغت قائد صيدا بهذا الامر اذ لم يكـن له علم به ، فأبرق الى بيروت يسألها معنى ايفادها مفتشا لمراقبته !٠الا ان قيادة بيروت لم تكن اقل منه جهلا بهذا الامر . فخابرت الفرقة ٤٣ ، وهذه بدورها خابرت الفيلـق الثامن ثم الجيش الرابع ، واستمرت هـــذه المخابرات خمسة ايام كان من نتيجتها ان استنكر الجميع هذا الامر . وانتدب (جواد رفعت بك) ، المدير المعاون للشعبة الاولى في الفيلق الثامن ، للتحقيق في الحادث ، فقام به !٠

وكانت النتيجة انه تتبع ، بواسطة المخابرات ، هـذه المعلومات التي اوردناها آنفا والتي اثبتت له ان الانكليز ، بعد الفـوز الذي احرزوه في جبهتي غزه وبئر السبع ، ارادوا ان يتأكدوا من حالـــة البلاد القائمة وراء الجبهة الفلسطينية ليتعرفوا الى حقيقة وسائل الدفاع فيها ، وان جواسيسهم توغلوا في البلاد واتخذوا صفة الضباط الاتراك غير حافلين بأحد !!

● في راس بيروت !

وفي هذا الوقت الذي وقعت فيه الحادثة واختفت فيه آثار الجاسوس، وقعت حادثة اخرى ، فقـــد ورد الى مديرية شرطة بيروت اشعار يفيد ان ثلاثة من الاجانب شوهدوا في جهات (رأس بيروت) يحاولون النزول في زورق هناك، وقد شاهدهم اثنان من الخفراء هما الاونباشي حسن، واحمد باندرمه ، ولما حاولا توقيفهم بادروهما باطـــلاق الرصاص فقتلوا حسنا وجرحوا رفيقه جراحا خطرة ونزلوا من الزورق فتوغلوا في جهة لم يتمكن احد من معرفتها !!

وقد اهتمت قيادة موقع بيروت لهذه الحوادث ، وقررت تعزيز وسائل الرقابة على المناطق الساحلية .

الا ان هذه الرقابة وهذه الاستعدادات لم تفد القيادة شيئا . لان السفن الحربية الانكليزية كانت تشاهد من وقت لآخر في هذه الجهة . كما ان الجواسيس كانوا يجتازون هذه المنطقة بجرأة متناهية فينقلون الى هذه السفن ما لديهم من معلومات عسكرية !!

● عصابة صهيونية جديدة !

وكان عارف بك ، رئيس بوليس القدس الذي اكتشف عصابة (سارة ارونسون) ورفاقها ، مولع بالتحقيق عن عصابة اخرى من الجواسيس اليهود كان يديرها في الجبهة الحربية نفسها (ابراهام وارتنبورغ) . وهو رجل في العقد الرابع من عمره . معتدل القامة والجسم . في قدمه اليمنى عرج يسكن معرفته به !!

وقد عمد (عارف بك) الى مطاردة هذا الرجل بصورة جدية وسريعة فضايقه في تلك الجهات . ثم بث حوله العيون والارصاد ، فاتضح له ان الرجل ، بعد ان يئس من متابعة عمله في هذه المنطقة ، عهد بمهمته فيها الى جاسوس آخر وغادر الجبهة الى مستعمرة (بريكه) الصهيونية القريبة من (عتليت) ، ومنها سار الى قرية (ام العلق) فاجتمع هناك بأربعة من اليهود توجه بهم الى حيفا ، ومن هناك اختفت آثارهم عنه لانهم لجأوا الى (بيروت) وبدأوا عملهم في منطقتها ، وكانت اول اعمالهم سرقة وثائق خطيرة معدة للدفاع عن بيروت !!

● سرقة الوثائق !

عندما تحرج الموقف الحربي في جبهة فلسطين عقدت القيادة العامة

اجتماعا كبيرا في مقر القيادة بدمشق حضره قائد الفرقة ٤٣ وقائد مركز بيروت وقائد الالاي . وقرروا في هذا الاجتماع تنظيم خطة الدفاع عن الجبهة بصورة جدية وايجاد خطة ثابتة للدفاع عن منطقة جبل لبنان والسواحل التابعة للفرقة ٤٣ حتى اذا فشلت القيادة التركية في الدفاع عن جبهة فلسطين اتخذت من لبنان وسواحله الجنوبية . ومن بيروت . قاعدة للدفاع عن الجنوب . ولصد القوات المعادية اذا ما حاولت احتلال بيروت والتقدم منها الى الداخل لاحتلال دمشق وقطع خط الرجعة على القوات المحاربة في شرقي الاردن وشمالي فلسطين ». وعهد الى قائد الفرقة ٤٣ بمهمة وضع خطط الدفاع عن بيروت والسواحل الجنوبية والشمالية !.

وقد عرف جواسيس الانكليز المنتشرون في كل جهة من جهات القيادة العثمانية بأمر هذا الاجتماع الذي عقد في دمشق . وبما كان من انتداب قائد الفرقة ٤٣ لوضع خطة الدفاع ، فأوفدوا جواسيسهم بقيادة (ابراهام وارتنبرغ) لدرس خطط الدفاع الحالية حتى اذا جاءهم بالاخبار التي استقاها بخور جودا (الذي تزيا بزي الضابط المفتش) ، وعرفوا ان الاتراك ما يزالون يهملون هذه المنطقة ولا يقومون بأي استعداد للدفاع عنها ، عادوا وقرروا الاستيلاء على الخطط !!

وكانت خطة الجواسيس المتبعة في الحروب استنساخ الخطط ، كيلا ينبهوا القيادة الى هذا الامر . الا ان ابراهام لم يكن لديه الفرصة الكافية لهذا العمل فسرق الخطط بأجمعها ، وقد شعر رئيس اركان حرب الفرقة ٤٣ بفقد اوراق خطط الدفاع ،وتكتم بالامر مدة سبعة ايام عادت خلالها الوثائق بالطريقة السرية التي فقدت فيها ، الامر الذي زاد في حيرة قائد الفرقة ، فاجتمع برئيس اركان حربه وبحثا الموقف بدقة ، واستدعيا رئيس المختبر الفني لفحص هذه الاوراق واخذ البصمات التي عليها ، وكان رئيس اركان الحرب ، بعد رؤيته الاوراق تعود الى مكانها ، أبى ان يمسها ليتمكن من

فحصها فنيا لمعرفة الآثار التي تدل عليها توصلا الى اكتشاف المجرم الحقيقي!!

وتولى رئيس هذه المصلحة التحقيقات الدقيقة، فعثر في هذه الاوراق، على بصمات اصابع لثلاثة اشخاص ظهرت له بوضوح تام!.

ورأت القيادة ان تقابل هذه البصمات ببصمات الضباط والجنود والكتاب الذين في مقر الفرقة، وكانت على اعتقاد وطيد بان الجواسيس لم يصلوا الى هذه الاوراق الا بواسطة مساعدين لهم من مقر الفرقة في عاليه، ولهذا اتخذت احتياطات سرية لأخذ البصمات بصورة لم يشعر بها احد!.

فقد ارسل رئيس اركان الحرب تعميما اداريا الى جميع موظفي الفرقة، فكان كل من هؤلاء يتناوله بيده للتوقيع عليه فترتسم بصمات اصابعه على هذا التعميم، وعلى هذه الصورة بات لدى القيادة بصمات يد جميع الذين في مقر الفرقة، ووضعت رقابة شديدة حول هؤلاء حتى اذا بدرت من احدهم بادرة اعتقل قبل ان يتمكن من الفرار!.



كان معظم كتاب الفرقة ٤٣ في عاليه من العرب، وجلهم من البيروتيين، وكان قائد الفرقة يثق بهم ثقة عمياء رغم تحذير رئيس اركان حربه، فقد كان هذا الاخير ينصح له دوما ان لا يثق بالعرب، خصوصا بعد ثورة الشريف حسين!.

ولما وقعت هذه الحادثة التي نحن في صددها، وقعت شبهة القائد على ثلاثة من الكتبة البيروتيين، فأمر باعتقالهم والتحقيق معهم في الحادث!.

الا ان قائد الفرقة عارض هذا الامر، وأصر على وجوب اجراء التحقيق بصورة سرية حتى اذا اعيدت الاوراق واخذت البصمات التي وجدت عليها سر القائد من هذه النتيجة، اذ لا بد ان ترشد الى الجواسيس الحقيقيين وتحول دون وقوع الابرياء وتعذيبهم لحملهم على الاعتراف بجرائم لم

يرتكبوها ، وهذا ما حصل فعلا ، فقد أثبت التحقيق براءة هؤلاء من الجريمة التي اسندت اليهم !..

فقد وجدت بين البصمات التي اخذت ، بصمات اثنين من الذين في الفرقة ، احدهما الملازم (عثمان بك)، وهو تركي الاصل من اهالي استنبول، والآخر جندي يدعى (بهلول احمد آغا) ، وهما من رجال رئيس اركان الحرب الذين يعتمد عليهم ، فالضابط (عثمان بك) كان من ضباط اركان الحرب ، والجندي كان في خدمته !. وقد اثرت هذه الحقيقة في رئيس اركان الحرب تأثيرا شديدا حتى كاد يصاب بنوبة عصبية ، ونظرا لهذه الصلة التي تربطه بهما أبى ان يحقق معهما، مع ان هذا حق من حقوقه، فأمر باعتقالهما وسوقهما فورا الى (رضا باشا) قائد الفرقة ليحقق معهما بصورة مباشرة !.

ولما اعتقلا وتحري منزلهما في عاليه وجدت فيه رقعة بتوقيع (روز كونكون) تتضمن بعض العبارات الغرامية ، ومبلغ ٣٥٠ ليرة عثمانية ذهبا و ٢٥٠٠ ليرة تركية نقدية !!

● الجندي يعترف !

وقد انكر الملازم (عثمان بك) الامر انكارا تاما، ولما سئل عن مصدر المال ، وكان معروفا عنه انه لا يملك شيئا ، حاول القول بانه كان يتاجر بالحبوب مع وسيطه الجندي (بهلول) !.

ولما سئل هذا الجندي، على انفراد ، اجاب ان سيده اوفده الى بيروت لمقابلة عشيقته (روز) في محلة الزيتونة وتسليمها مظروفا كبيرا يحوي اوراقا لا يعرف ماهيتها ، وان روز سلمته مظروفا وصرة من الدراهم ، وانه لم يسع لمعرفة اسرار هذه الامور ، وبعد بضعة ايام اوفده سيده الى روز فسلمته مظروفا آخر !.

ولم يزد الجندي على هذه المعلومات شيئا ، وقد اثبت انه لا يعرف من كل هذه الامور غير ما تقدم !!

وعلى اثر ذلك ابرق الى مديرية شرطة بيروت بتوقيف (روز) في منزلها الكائن تجاه مقهى خريستو وكل من في المنزل الذي كانت تتخذه شبه (بانسيون) فاعتقل ١١ شخصا جيء بهم الى (عاليه) ، ولدى اجراء التحقيق اعترفت (روز) بأن اثنين من الذين في منزلها طلبا منها اوراقا سيرسلها عشيقها الملازم عثمان بك ، وكانت افادتها مؤيدة لافادة الجندي مما أيد براءتها من كل التهم التي وجهت اليها في بادىء الامر ، وانحصرت الشبهة في اثنين من الموقوفين هما (بخور جودا) و (عزرا كوهين) ، فاوقفا قيد التحقيق واخلي سبيل الآخرين !..

وقد حاول الرجلان انكار هويتهما الا ان التحقيقات الدقيقة ما لبثت ان اثبتت هذه الهوية ، فعادا وانكرا ان يكونا من الجواسيس ، وحاولا ان ينكرا ايضا علاقاتهما بالضابط عثمان بك ، الا ان مواجهة الجندي لروز ومواجهة روز لهما ارغمتهما على الاعتراف بأنهما يتاجران مع الضابط ، وان هذا الضابط يساعدهما للحصول على وثائق لتصدير الحبوب الى فلسطين، وان الاوراق التي جاءهما بها الجندي لم تكن الا وثائق لمشترى الحنطة !.

وهنا وضعت القيادة غلاف الوثائق ضمن غلافات اخرى وطلبت من الجندي ان يرشد الى الغلاف الذي نقله ، فأرشد اليه فورا ، وهكذا ثبتت التهمة على هؤلاء الجواسيس بصورة صريحة !.

واجريت مقابلة على اثر ذلك بين الجاسوسين اليهوديين وبين الملازم (عثمان بك) فوجد القائد تباينا كبيرا بين اقوال الفريقين، الا انه، في الوقت نفسه ، وجد في افادة روز وافادة الجندي والدراهم ما يثبت هذه التهمة على الرجل !..

وشوهد رئيس اركان الحرب يجتمع بالملازم (عثمان بك) ثم يخرج من غرفته مسرورا، ولما سأله (رضا باشا) هل تمكن من حمله على الاعتراف بجريسته ، أجاب :

ـ كلا، وانما اقنعته بوجوب حفظ شرفه العسكري ظهر معنى هـذا الاقناع في اليوم التالي، فان عثمان بك الذي ارسل مخفورا الى دمشق طلب وهو في رياق مقابلة قائد الفرقة فيها الميرالاي (وحيد بك) ؛ وهو ابن عمه وقد ربي عثمان في داره ، فرفض (وحيد بك) مقابلته قائلا :

ـ ان من يخون وطنه وشرفه العسكري لا يجوز له ان يطلب مقابلتي!

الا ان عثمان الح على هذه المقابلة ، ولما مثل بين يديه بكى وقال :

ـ لقد احببت فتاة هي كريمة الميرالاي المتقاعد الدكتور (ادهم بك) حبا جنونيا ، وقد اضطرني هذا الحب ان انفق عليها مـالا كثيرا ، فمددت يدي الى صندوق المصارفات السرية المودعة تحت عهدتي !•

وكنت في بيروت اتردد على بانسيون (روز كونكون) التـي كانت تجمعني بمن احب وقد حظيت من اموالي بالشيء الكثير !•

وفي الشهر الماضي بلغني ان (جمال باشا) قادم لتفتيش صناديـق المخصصات السرية فخفت العاقبة فقصدت روز وحاولت الاتتحار عندها ، الا ان الفتاة شعرت بأمري وحالت دوني وما أريد ، واخبرتني ان هنـاك تاجرين يهوديين يترددان عليها دوما قصد الاجتماع بي لانهما يعرفان ترددي عليها وانهما فاتحاها بامر اشتراكي في تجارة ستدر علي ارباحا طائلة دون ان خون وظيفتي !••

ولما كنت بحاجة الى الدراهم استقدمت الي هذين الرجلين وسألتهما ما يطلبان ، فوجدتهما عارفين بحالتي وبعجزي عن تسديد الدراهم ، فقالا

انهما لا يطلبان الا ان احميهما في تجارتهما وهما مقابل ذلك ينقدانني ما احتاج اليه ، ثم سألاني عن المبلغ المتأخر علي في الصندوق فأبلغتهما انه ٢٤٠٠ ليرة تركية فوعداني باعطائي المبلغ فورا مقابل سند اقول فيه انني اخذت منهما المبلغ لتسديد النقص الحاصل في صندوق الفرقة والذي اهدرته على ملاذي !.

فرفضت ذلك فقبلا ان يأخذا سندا اقول فيه انني اخذت المال منهما مقابل حمايتهما ؛ فأعطيتهما هذا السند دون ان اشعر بحقيقة مهمتهما ظانا انهما من كبار التجار وانهما بحاجة لمن يحميهما، وهما يهوديان ، ضد اعتداء البوليس او الاهلين ؛ ونقداني ثلاثة آلاف ليرة بزيادة ٦٠٠ ليرة ؛ وهكذا نجوت من ورطة اساءة استعمال الوظيفة !. على ان هذين الجاسوسين عرفا كيف يستخدمان السند الذي اعطيتهما اياه ، فقد اعترفا لي بصراحة انهما من جواسيس انكلترا وانهما بحاجة الى خرائط دفاع المنطقة ! ولما ثرت غضبا عليهما ظلا هادئين وقالا لي ان اقل كلمة مني كافيةلاثبات التهمة علي اذ يعترفان بانني كنت شريكا لهما في التجسس وانني لم احمهما الا بعد ان عرفت انهما جاسوسان ، اذ لا يعقل ان يدفع احد لأحد مثل هذا المبلغ الكبير دون ان يكون له ضلع في الحادث !.

وهكذا اصبحت في يدهما ، وقالا لي ان غايتهما استنساخ هذه الوثائق التي لا يمكن لأحد ان يشعر بها ، وهما مقابل ذلك يدفعان لي ٥٠٠ ليرة عثمانية ذهبا ، ولا اعلم كيف قبلت ونفذت هذا الطلب !.

فالتفت الميرالاي (وحيد بك) الى الضابط ، واشار الى الغرفة المجاورة لمقره في رياق وقال له :

ــ ادخل الى هذه الحجرة وسجل اعترافك هذا بيدك ثم قم بواجبك!.

ودخل عثمان الى الغرفة وسجل كل هذه الوقائع باسهاب كلي ، وبعد

ان وقعها عاد الى غرفة (وحيد بك) وسلمه اياها !٠

فالتفت وحيد بك اليه وقال :

ــ هل قمت بواجبك تماما ؟

ــ نعــم !

فتناول (وحيد بك) مسدسا كان على الطاولة واخذ يلاعبه بيده !٠٠ ولما قال له (نعم) وقف وحيد بك ، وخرج من الغرفة ، فأدرك مــا اراده نسيبه القائد ، فمد يده الى المسدس وافرغ منه رصاصة على صدغه كــانت كافية للقضاء على حياته !٠

✶

وهنا اطرق وحيد بك حزينا وقال :

ــ لقد كفر الرجل عن خيانته بدمه فأحسن !٠

ثم اسرع ضباط الفرقة الى مكان الحادث ، فنقلا جثمان الضابـــط المنتحر الى الخارج ، ثم تولى الميرالاي (وحيد بك) وضع تقرير ضاف عن القضية ضمه الى كتاب عثمان ورفعه الى قيادة الفيلق الثامن ، وهـــذه بدورها احالته الى قائد الفرقة ٤٣ لاستئناف التحقيقات مع الجواسيس !٠

● اين الوثيقة ؟

الا ان البوليس البيروتي لم يعثر في دار (روز) على وثيقة الاعتراف التي اشار اليها الضابط المنتحر في حديثه للميرالاي وحيد بك ، كما ان الجاسوسين عزرا وبخور لم يشيرا في حديثهما الى هذه المذكرة ، ولما كان ظهور هذه الوثيقةمع اعتراف الضابط المنتحر كاف لاثبات تهمة الجاسوسية على الرجلين فقد شددت الرقابة عليهما واستعملت بحقهما طرق قاسيـــة لحملهما على الاعتراف بمقر هذه الوثيقة دون جدوى ، لان الرجلين ، وقد

عرفا ان هذه الوثيقة تقودهما الى الشنق ، اصرا على انكار وجودها ، وذهبت جميع الجهود التي بذلت لحملهما على الاعتراف بهذه الحقيقة ادراج الرياح !..

● جاسوس في رياق !

وفي الوقت الذي سيق فيه الملازم عثمان الى دمشق شوهد شاب بملابس البدو يرافقه بالقطار ، وقد اعتقله الجند يومئذ بتهمة الفرار من الجندية الا انه تمكن من اظهار وثيقة تثبت انه من عرب (الروله) وانه مرسل بمهمة الى بيروت من قبل امير هذه القبيلة ، فأخلي سبيله !.

الا ان الملازم الاول (كاظم بك) ، قائد محطة رياق ، رابه امر هذا البدوي ، خصوصا وقد رآه يأتي الى (حوش حالا) ثم يذهب الى الكيلومتر (مكان واقع على محطة السكة الحديدية المؤدية الى حلب) حيث مستودعات الذخيرة الحربية !..

فأوفد اثنين من رجاله لمراقبته بشدة فلم يتمكنا من العثور عليه الا بعد خمسة ايام من تاريخ انتحار الضابط ، اذ شاهداه آنئذ على هضبة يعطي الاشارات ، فأطبقا عليه فورا وقاداه الى كاظم بك ، وقد حاول الرجل في الطريق ان يرشوهما بمبلغ كبير من المال الا انه لم يفلح لأن الجنديين اصرا على ايصاله الى ضابطهما ، ولما فتش وجدت معه الاوراق الخطيرة التالية:

● اولا : (كروكي) عن موقع محطة رياق المؤدية الى حلب ، وفي هذه الخارطة تفاصيل دقيقة عن مستودعات الذخيرة الحربية في المنطقة وعن مستودعات الاعاشة الالماني !.

● ثانيا : (كروكي) عن مقر المدفعية النمسوية في الجبهة الشمالية من

رياق ومركز خزانات القنابل والذخيرة المعدة لها وبيان مركز قيادة المدفعية النمسوية !.

● ثالثا : (كروكي) عن خطة الدفاع عن رياق واشارات عن مراكز الجنود واسم كل بلوك وآلاي !

● رابعا : الوثيقة التي اخذت من الملازم عثمان المنتحر !.



لدى هذه الادلة الراهنة التي تثبت حقيقة هذا الرجل ، قاده الملازم كاظم بك الى قائد الفرقة الميرالاي وحيد بك ، فحقق معه وحمله على الاعتراف بأنه يدعى (مردخاي عزراليفي) ، وهو الجاسوس الثالث الذي جاء مع ابرهام ، فقاده تحت حراسة الجند الى (عاليه) حيث ادمجت دعواه بدعوى رفيقيه !.



وعقد الديوان الحربي العرفي جلستين فقط نظر خلالهما فيهذه القضية فحكم على المتهمين الثلاثة بالاعدام !.

وعلى هذا لم يبق من افراد عصابة الجواسيس التي جاءت الى بيروت وضواحيها الا اثنان : (ابراهام وارتنبرغ) و (ايزاك جاك رابينوفتش) !.

وقد اختفت آثار هذين الجاسوسين ، الا ان اختفاءهما هذا لا يعني انهما ابتعدا عن المنطقة ، بل على انهما تجنبا الظهور في المحلات العامة ، خصوصا بعد اعتقال رفاقهم واعدامهم، ويثبت ذلك تسرب الكثير من اسرار الجيش الى الاعداء ، ورؤية الدوارع الانكليزية تجوب سواحل (رأس بيروت) الممتدة لغاية (خلدة) !.



رأت قيادة موقع بيروت ان تشدد الرقابة على الجواسيس في المناطق الساحلية ، فعقد اجتماع برئاسة قائد الموقع حضره (عثمان بك) ، رئيس ميناء بيروت ، و (اسماعيل حقي بك) ، قائد قوات الساحل ، ومدير الشرطة ، وجرى البحث فيه حول التدابير الواجب اتخاذها لمراقبة هذه النقطة واعتقال الجواسيس بالجرم المشهود ، فتقرر تعزيز الحامية في هذه المنطقة ، واقامة مراقبة دائمة في المناطق المشتبه بها !.. ومضت عشرة ايام على اتخاذ هذه التدابير ، وحركات الجواسيس لا تزال كما كانت !



وحلا هذه المرة للجواسيس الذين كانوا يشتغلون في هذه المنطقة ان يهزأوا برجال الامن ، ليثبتوا لهم انهم عاجزون تمام العجز عن مطاردتهم وتوقيفهم ، فعمدوا في بادىء الامر ، الى سرقة بندقيتين من بنادق حراس الساحل !.

ثم بعد مرور اربعة ايام على هذا الحادث ، ورد نبأ آخر يفيد ان جنديا وجد مربوطا بحبل وملقى على شاطىء البحر، فاستدعى هذا الجندي فقال:

ـ بينما كنت اقوم بمهمتي في جوار نهر (ابو شاهين) شاهدت على الشاطىء رجلا وامرأة، ولم يخطر ببالي ان هذا الرجل جاسوس بل اعتقدت انه عاشق جاء بمن يحب الى هذه المنطقة البعيدة عن السكان،فاقتربت منهما وكانت امامهما مائدة عليها بعض المأكولات والشراب ، ودعوتهما لمرافقتي الى المخفر ، الا ان الفتاة اخذت تتذلل قائلة انها من عائلة شريفة وان ذهابها الى المخفر سيقودها حتما الى القتل !. فأشفقت عليها وأمرتها بالانصراف وحدها،واصريت على الرجل ان يرافقني الى المخفر لأتثبت من هويته، فدعاني لتناول قدح من الخمرة قبل الذهاب معه فلبيت الدعوة واحتسيت القدح ،

وخلال ذلك رأيت زورقا يأتي من عرض البحر الى الجهة التي نحن فيها ، فتنبهت للموقف وهممت بان أنبه رفاقي ، الا انني في تلك اللحظة فقدت توازني ولم اشعر الا وأنا مربوط وملقى على شاطىء البحر على بعد سحيق من مكان الحادث ، فاستنجدت فأسرع رجالي الي !..

★

وتعددت امثال هذه الالعاب التي لعبها (شيطان بيروت) الجاسوس على الجنود دون نتيجة، لان الرجل الذي كان يقوم بمهمة جاسوسية خطيرة كان من طبعه السخرية من رجال الحكومة وهو يقوم بعمله !.

وقد كان في الامكان ان يتابع مهمته هذه لو لم يعمد شابان بيروتيان لتوقيفه والقضاء على مهازله هذه !

يقع دير مار الياس الارثوذكسي في محلة (مار الياس بطينة) المطلة على السواحل الممتدة من جهات (الروشة) الى سواحل البحر في جهات (خلدة) ، وقد اتخذته السلطة العسكرية مقرا للقيادة المولجة بخفر السواحل ، وقد عززت السلطة هذه المنطقة بالجنود وبالمراقبين المتيقظين !.

● اجتماع هام في الدير

في هذا الدير عقد اجتماع حضرته قوات مفرزات الساحل، وتكلم فيه قائد قوات محافظة الساحل (اسماعيل بك) فقال :

ــ لم يعد بامكاني السكوت على هذه الحالة ، فالبلاد ترتجف منا كقصبة في مهب الريح، ولا يجسر احد ان يحرك ساكنا، والجندي العادي من جنودنا يفعل ما يشاء دون ان يتمكن احد من اعتراضه ، ومع هذا نرى جاسوسا واحدا يهزأ بنا ، ويسرق اسرارنا، ثم يعمد الى مداعبة جنودنا بصورة تظهر عجزنا ليس امام الشعب الذي لا نحفل به ، بل امام رؤسائنا ،

فالقيادة في بيروت مستاءة من هذا العمل ، وقيادة الفرقة ناقمة ، وقائد الجيش يهددنا باستبدالنا وارسالنا الى الجبهة الحربية اذا لم تتمكن من توقيف هؤلاء الجواسيس ورئيسهم بوجه خاص ، ولهذا دعوتكم الى هنا لتختاروا احد امرين :

اما ان تقبضوا على هؤلاء الجواسيس لنسلمهم الى القضاء العادل ليلاقوا جزاءهم ، واما ان تستعدوا للسفر الى الجبهة الحربية !.

اصغى رؤساء المخافر والمفرزات الى اقوال قائدهم (اسماعيل بك) وهم سكوت ، حتى اذا انتهى انصرفوا بعد ان وعدوه وعدا قاطعا بالعمل على تحقيق رغبته !.

ومرت الليلتان الاوليتان دون ان يحدث شيء، وفي الليلة الثالثة تبدلت الامور ، فقد التقى احد بحارة بيروت عند (ميناء الحصن) برجل يعرج تدل اوصافه على انه رئيس العصابة ، فاستوقفه ونقده ربع ليرة تركية وطلب اليه ان يوصل رسالة سلمه اياها الى القائد (اسماعيل بك) ، ففعل، ولما فتحها (اسماعيل بك) ثارت ثائرته واعتقل البحري واخذ يحقق معه عمن سلمه الرسالة ، ولما روى له الحقيقة أبى ان يصدقه مع ان الادلة ظاهرة على ذلك ، وأبقاه تلك الليلة في المخفر،وإنهال عليه ضربا موجعا حتى افقده رشده ، ثم ساقه في اليوم التالي الى الديوان العرفي في عاليه ليحاكم بتهمة الجاسوسية !!

اما الكتاب الذي اثار سخط القائد الى هذا الحد حتى صب جام غضبه على هذا البحار المسكين ، فقد احتوى تعميما اعده القائد (اسماعيل بك) ليذيعه على قواته يتضمن وصفا للجاسوس ووجوب التشديد عليه لتوقيفه !. وقد كتب القائد مسودة هذا البلاغ بيده واحتفظ به في مكتبه الخاص في الدير ليسلمه الى الكاتب في اليوم التالي ، وقد نسيه في ذلك اليوم !.

ويظهر ان هذا الجاسوس زاره في مكتبه في اثناء غيابه ، فأخذ التعميم ليعلن للقائد ان في استطاعته الوصول حتى الى مقره، وأخذ اوراقه منه ، وقد كتب على ذلك البلاغ ما نصه :

« لقد اخطأ القائد في تعميم اوصافي ، واذا اراد فليضرب موعدا لاتشرف بمقابلته في دائرته فيحصل على اوصافي الحقيقية، ومجرد موافقته على ذلك ، بمذكرة يكتبها ويضعها في غرفته ، كاف لأن اعرف بالموعد فأتشرف في الوقت المعين » !

وفي هذه المذكرة كثير من الهزء بالقائد الذي رأى انه غير قادر على فهم كيفية وصول الكتاب المذكور الى الجاسوس !.

● هكذا حدث الامر !

ولكن الحقيقة ما لبثت ان ظهرت ، وهي ان القائد (اسماعيل بك) كان يحب فتاة تتردد عليه في غرفته الخاصة، ولم تكن هذه الفتاة تتردد على القائد حبا به ، بل طمعا في المال الذي يعطيها اياه ، وقد عرف الجاسوس (ابراهام) بهذه العلاقة،وسرعان ما تعرف على الفتاة واستعملها كجاسوسة على القائد تأتيه بما يريد من اسراره ويخطط المراقبة التي يضعها على الساحل وبشارات التعارف وكلمة السر بين الجنود !

وفي هذه الحالة كان في استطاعة هذا الجاسوس ان يختار الاماكن التي تساعده على الاتصال بالجواسيس الذين توفدهم اليه القيادة البريطانية دون ان يشعر بهم احد ، كما انه كان قادرا على اعطاء كلمة السر للجنود عندما يمرون من امامه فيظنون انه من ضباطهم فيفعل ما يحلو له !!

✱

والفتاة التي تمكن هذا الجاسوس الداهية من الاستيلاء عليها تدعى

(زاهية) ، .. (يعذرنا القراء اذا احجمنا عن ذكر اسمها بكامله) ، وقد ثابرت على مهمتها هذه الى ان اعتقل الجاسوس واتفق والقائد ، كما سيتبين ذلك للقراء في حينه ، الا ان القائد عندما علم بما كان منها قطع علاقاته بها !!

● شجاعة شباب بيروت

وعلى اثر هذا الامر الذي زاد في سخط القائد استدعى اسماعيل بك اثنين من شبان رأس بيروت المعروفين بقوة الشكيمة والجرأة والاخلاص وهما السيدان (خضر المغربي) و (معروف الداعوق) ، وتحدث اليهما في امر هؤلاء الجواسيس وعجز رجاله عن اعتقالهم رغم كثرة عددهم ، ووعد من يأتيه برئيس الجواسيس باعفائه من الخدمة العسكرية وبمنحه صلاحية العمل ، ومساعدته في كثير من الامور !!

فقال له السيد خضر المغربي :

ــ كن على ثقة يا حضرة القائد بأنني سآتيك بهذا الرجل في اقرب وقت !

وكان خضر المغربي على معرفة سابقة بحركات الجواسيس في محلته (رأس بيروت) ، فقد كان يشاهد في بعض الليالي المظلمة الزوارق تأتي من البحر ، واشباحا تتسلل ، ويسمع البحارة واهالي المحلة يتهامسون عن حركات الجواسيس ، ولذا لم يشأ ان يوسع نطاق عمله في بيروت ، بل حصره في سواحل محلته !.

✶

وكان الجاسوس شعر بحركة السيد خضر ، فأراد ان يتجنبه، فحاد عن طريقه ، واصطدم به مرة في جوار (نهر ابو شاهين) وكاد يقبض عليه لو لم يركب الزورق ويتمكن من الفرار !!

وفي المنحدر القائم بين ساحل الروشة وجهات الروشة ، بقعة صخرية منعزلة معروفة بالملاحة ، وفي استطاعة المرء ان يقف في هذه الجهة دون ان يشعر به احد لانها قائمة على الساحل تعلوها من الجانبين صخور عالية لا يمكن رؤية من يختبيء فيها !.

وكان الجواسيس يعتمدون على هذه المنطقة البعيدة للاتصال بمن يأتيهم من البحر دون ان يراهم احد، فشعر السيد خضر بهذه الحركة فكان يقضي ليله هناك ، وفي بعض الاحيان يرافقه السيد (معروف الداعوق) .

● القبض على الجاسوس !

وبعد منتصف ليلة من ليالي تموز ، وكان القمر بدرا ، بينما كان واقفا يرقب البحر شاهد على صفحة الماء رسم خيال ثالث يمتد بين خياله وخيال رفيقه ، فأدرك ان هناك في الجهة العليا من يراقبه مع رفيقه ، وخطر له ، لاول وهلة ، ان هذا الرقيب لا بد ان يكون اما ضالته او احد جواسيسه، وتوقيفه على كلا الحالين ، خدمة للقائد ولوطنه ، فتناول عصاه وركزها بين صخرين ولف عليها عباءته فكونت الخيال المنعكس على صفحات الماء نفسه ، ثم التفت الى رفيقه ونبهه الى وجود الجاسوس في الاعلى وحثه على ان يلزم مكانه بجانب العصا ليظن الجاسوس انهما باقيان ، ثم انبطح على الارض فحل خيال العصا محل خياله ، واخذ يزحف الى الجهة التي يريدها، وما هي الا هنيهة حتى اصبح على مقربة من الخيال العالي الذي كان لا يزال واقفا امامه ، وفجأة شعر به الجاسوس فأطلق لساقيه الريح !!.

وقد عرج المجهول عندما ركض فتذكر السيد خضر قول القائد له ان الرجل اعرج ، واتضح له انه رئيس العصابة !..

وكان السيد خضر سريع العدو ، فأخذ يجري وراء الرجل الى ان ادركه قرب المنارة ، وامسك به من عنقه !.

فتظاهر الرجل بالطاعة وسأله عن الغاية من مطاردته ، فقال ببساطته المعهودة :

ـ لأنك جاسوس ولأن القائد يطلبك !.

ـ كلا لست جاسوسا ، بل انا جندي خفت توقيفي ، فجئت اختبىء هنا !.

ـ كلا انت جاسوس ، والا لماذا هربت لما لحقت بك ؟!

ـ لأنك ظهرت لي بصورة مفاجئة فخفت ان تكون لصا !



وطالت المحاورة بين الرجلين نال خلالها الرجل المجهول عدة لكمات من قبضة السيد خضر الحديدية !.

ولما وجد نفسه غير قادر على النجاة ، واتضح له ان الرجل سيسوقه الى القائد ، تناول من جيبه عشر ليرات ذهبية ودفعها له مقابل اخلاء سبيله، ولما ابى ضاعف له المبلغ وظل يضاعفه حتى وعده بكل ما يحمل ويزيد على الخمسين ليرة ذهبية ، الا ان كل هذه الوعود ذهبت سدى ، وابى السيد خضر الا ان يسلمه الى القائد ، وقاده فعلا الى مخفر رأس بيروت وسلمه الى المفوض وطلب اليه وضعه في سجن انفرادي ريثما يخابر القائد بأمره ، ثم ارسل اشعارا تلفونيا الى (اسماعيل بك) ينبئه فيه بما وقع له !. فتلفن القائد الى المفوض طالبا ارسال الرجل مع السيد خضر ، وارفاقه بثلاثة من رجال الشرطة لحراسته !.

وجاء السيد خضر بالجاسوس الى (دير مار الياس ـ بطينه) ، فلم يجد القائد هناك ، الا انه وجد امرا منه بأن يترك الرجل بحراسة احد رجاله لانه سيتأخر في العودة الى دائرته ، وان يعود اليه في اليوم التالي !. ففعل . ولما جاء في اليوم التالي استقبله القائد اسماعيل بك بحفاوة كبيرة وقال له :

ــ اني مسرور منك جدا لانك برهنت في عملك على ذكاء ومقدرة ، ولكن يؤسفني ان اقول لك ان من اعتقلته ليس الجاسوس الذي نطلبه بل رجل يشبهه !»

ــ ولكن يا مولاي !

ــ هل تأثرت يا خضر ؟

ــ لا ، ولكنه كاد يعترف لي بأنه هو زعيم الجواسيس ، وعرض علي مبلغا كبيرا من المال لقاء اخلاء سبيله فرفضت !»

ــ انك على خطأ يا عزيزي ، ومع هذا فأنا اعتبر انك فزت بتحقيق غرضك ، وارى ان تعدل عن المراقبة فليست لنا فائدة منها ، وقد وعدتك اذا اوقفت الجاسوس باعفائك من الخدمة العسكرية ومساعدتك !» واليك الآن وثيقة اعترافي بذلك !»

فخرج (خضر المغربي) وهو شبه ذاهل حائر لا يعرف الغاية الحقيقية من هذا التضليل، فقد عهد اليه بمطاردة جاسوس مع رفيقه السيد معروف، فتمكن من ذلك ، فما السبب في اخلاء سبيل هذا الجاسوس ؟! ولماذا يمنعه القائد من مواصلة البحث عنه ما دام ان من اعتقله ليس زعيمهم ؟!

كل هذه الاسئلة مرت في مخيلة السيد (خضر المغربي)، وهو منصرف من دير مار الياس بطينه ، ولكنه سكت على هذه النتيجة قائلا لنفسه :

ــ لقد قمت بواجبي وحسبي ذلك !

● القائد باع شرفه وبلاده !

ومما لا نزاع فيه ان من اوقفه السيدان خضر المغربي ومعروف الداعوق هو ابراهام وارتنبرغ (شيطان بيروت) ورئيس عصابة الجواسيس الذي اخلي سبيله بدل ان يحال فورا الى الديوان الحربي العرفي في (عاليه)،

ويرجع السبب في ذلك الى ان القائد ما كاد يدخل الى دائرته حتى اجتمع سرا بالرجل الموقوف واستغرقت هذه المقابلة مدة طويلة انتهت باخلاء سبيل الرجل ، وقد قال لمعاونه وقتئذ ان تحقيقاته اثبتت له براءته من التهمة وانه رجل شريف مخلص للدولة !!.

فما السر في ذلك ؟!

تدل الوثائق التي لدينا(١) على ان ابراهام غادر مقر القيادة بريئا من التهمة !. الا ان تقريرا سريا ورد من الملازم الثاني (رضوان بك) الى قائد الفيلق الثامن ، يثبت ان الرجل الذي اوقف هو زعيم الجواسيس ، وان القائد قد اخلى سبيله لقاء مبلغ من المال لم يعرف مقداره ، وان القيادة اهتمت لهذا الاشعار فأوفدت القائد (عثمان بك) لاجراء التحقيق في الامر، فقام به واثبت براءة القائد مقابل مبلغ من المال اخذه من زميله ! وهكذا طمس المال كل الحقائق !!

*

اما ابراهام (شيطان بيروت) ، الجاسوس الاخير ورئيس الجواسيس الصهيونيين ، فقد تراءى له بعد هذا الحادث ان من الصعب متابعة عمله في منطقة (رأس بيروت) فحول جهوده الى صيدا وصور وعكا ، وظل يشتغل في هذه المنطقة الى ما بعد دخول قوات الحلفاء اليها !.

اما عملاؤه في بيروت والملحقات فقد ظلوا على اتصال به الى آخر وقت دون ان يتمكن رجال الامن وهيئة مقاومة الجواسيس من معرفة حقيقتهم!.

● محاولة قتل انور باشا !

وبهذه المناسبة نروي الحادث التالي : ففي سنة ١٩١٧ عندما جاء

(١) لدى المؤلف التركي عزيز بك .

(انور باشا) الى بيروت نزل في فندق كسنان (اوتيل رويـ ـ اليوم) .
وضرب حوله نطاق من الحرس ، الا ان احد هؤلاء الجواسيـ تمكن من
الوصول الى غرفته فتناول منها ملفا من الاوراق ، هو تقرير تلقاه (انور
باشا) من قائد (جيش الصاعقة) في فلسطين ، يتضمن وصف الحاله في
فلسطين من وجهتها العسكرية والادارية !.

وفيما الجاسوس يحاول الخروج من الغرفة داهمه (انور باشا) نفسه
مما اهاب بالجاسوس الى ان يشهر مدية ويحاول طعن (انور باشا) بها !.

الا ان (انور باشا) كان قوي العضلات ، فقبض بيديه الفولاذيتين
على يد الرجل وانتزع منها المدية، وبهدوء زائد قرع الجرس، فأسرع مرافقه
الخاص ، ولشد ما كان اضطرابه عندما رأى الخنجر بيد سيده ، والرجل
يقف ذليلا أمامه ، فابتسم انور ، وقال :

ــ ادع مدير الشرطة وسلمه هذا الرجل ، وليبق التحقيق معه سرا!.

ولما جاء مدير البوليس واستلم الشقي لم يتأخر كثيرا في معرفة هوية
الرجل ، فقد تبين انه يدعى (ايزاك جاك رابينوفتش) ، وهو الجاسوس
الرابع الذي نجا من الاعدام ولم يتمكن رجال الشرطة وفرقة مقاومة
الجواسيس من توقيفه !.

وقد استدعاه (انور باشا) بنفسه ، وحقق معه في هذه القضية ، الا ان
الرجل ظل صامتا ينكر اتصاله بأحد قائلا انه هو وحده المسؤول عن
الحوادث ، وقد انكر محاولته قتل (انور باشا) مؤكدا انه جاء ليسرق
اوراقا وردته عن خطط الدفاع في فلسطين فكان ان وجد نفسه مع (انور
باشا) وجها لوجه ، فأراد تهديده بالمدية وهو يجهل شخصيته جهلا مطبقا!.

وقد احيل هذا الجاسوس الى الديوان الحربي العرفي فحكم عليه
بالاعدام ، ونفذ فيه الحكم بسرعة !.

☆

آلتر ليفي: الجاسوس الصهيوني

الذي كان عميلا للانكليز
وصديقا لاحمد جمال باشا !!

خدع السفاح وعمل من
اجل الانكليز والصهيونية !

مثل اليهود ، خلال الحرب العالمية ، ادوارا خطيرة طالع القـــراء في الفصول الماضية ادوار بعضها ! وفي نفس الوقت كان في فلسطين جاسوس آخر لا يقل خطورة عمن سبق وذكرناهم، وهو (آلتر صموئيل ليفي) الذي كان عام ١٩١٦ في العقد الرابع من عمره ، هاجر قبل اعـــلان الحرب الى فلسطين ، فأحرز فيها مكانة تجارية كبرى ووكالة عدة شركات اوربيـــة واميركيـــة !!

وكان هذا الجاسوس متعلما تعليما راقيا يحسن عدة لغات حية كمـا يحسن العربية والعبرية !!

وقد اتنسب (آلتر) لدائرة الاستخبارات الايطالية سنة ١٩١١ ، وظل مقيما في القدس حتى بداية الحرب !!

★

وكان في القدس آنئذ ، مستعمرات ، او احياء متعـددة للاجانب ، فمنها الحي المسكوبي المعروف بالكومبانية المسكوبية، والالماني، فالنمسوي، فاستوطن (آلتر) حي الكومبانية النمسوية ، واتخذ مكتبا لعمله في شارع (باب الخليل) ، وحشد فيه عددا كبيرا من العمال العرب واليهود ! وقـد قسم هؤلاء العمال الى قسمين : قسم الموظفين العرب الذين اتخذهـم كمستخدمين في محل تجاري كبير معروف ، وقسم من اليهود اتخذه فـي الظاهر كما اتخذ اولئك العمال ، وكانوا في الحقيقة جواسيس يوفدهم الى مختلف مناطق فلسطين كعمال متجولين لحمل الناس على التأمين على انفسهم ومحلاتهم في شركات الضمان التي كان هو وكيلها !!

وكانوا يؤدون اليه الخدمات التي يريدها ، كمعرفة اسرار البـلاد ،

ومقاومة نفوذ الدولة العثمانية !. وقد قام هؤلاء بعملهم هذا بصورة جدية؛ فصرف (آلتر) جهوده الى جهات (سينا) ، فجمع قبل دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية ، معلومات وافية عن هذه القضية !.

● وسام الحرب العثماني للصهيوني الخائن !

ولما اعلنت الحرب العالمية كان (آلتر ليفي) في مقدمة الاجانب الذين استنكروا دسائس الحلفاء ، وقاموا يؤيدون الدولة العثمانية ! حتى انه لما جاء (احمد جمال باشا) الى القدس للمرة الاولى في اول كانون الثاني سنة ١٩١٥ ليستعد لحملة قناة السويس الاولى، كان (آلتر ليفي) في مقدمة الذين رحبوا به باسم الجالية الاجنبية الموجودة في البلاد ، معلنا تبرعه بكميات وفيرة من الادوية التي يحتاج اليها الجيش الزاحف على القناة !..

وهكذا نال ثقة (احمد جمال باشا) الذي ما لبث ان اقترح على وزارة البحرية منحه وسام الحرب العثماني ! كما ارسل اليه كتاب شكر على اخلاصه للوطن !!

وهذا كل ما كان يرجوه آلتر ليفي لتأمين خدمة اسياده الانكليز ؛ اي ثقة الاتراك به والاتصال بهم بصورة مباشرة ، وصرف النظر عن عملاء مكتبه الذين هم جواسيس الصهيونية والانكليز !



وقد وفق الرجل في مسعاه هذا لان جواسيسه كانوا منتشرين في المنطقة يشرفون على الاستعدادات الحربية لحملة قناة السويس الاولى ، بحرية تامة !.

ويقول (فون قروس باشا) في مذكراته التي أصدرها منذ اعوام ان الانكليز عندما هاجموا قناة السويس بقواتهم كانوا عالمين بجميع التدابير

التي اتخذها الاتراك ، وان معرفتهم هذه هي التي سببت خذلان هـــذه المعركة ، ويؤكد أن (آلتر ليفي) حضر حفلـــة عرض القوات المسافرة الى القناة ، واشرف على امورها !!

ولما افتضح امره كان كل شيء قد تم ؛ ولم يبق في امكان الاتراك ان يتخذوا بحقه أي تدبير ! الا ان القائد الالماني يلوم في مذكراته هـــذه ، الترك ، لانهم افسحوا في بادىء الامر مجال الثقة بالرجل حتى تمكن مـــن تحقيق غاياته الاثيمة !

● جمال باشا !

لما فشلت معركة القناة الاولى في شهر شباط سنة ١٩١٥ ؛ عاد (احمد جمال باشا) الى القدس ليدرس الوضع الحاضر ويستعد لمعركة القنـــاة الثانيـــة !.

وفي هذه المرة ايضا تمادى (آلتر ليفي) في خديعته للاتراك ، فعرض خدمته على (جمال باشا) واستعداده للقيام بالمهمة التي يريدها منه !.

وكان (احمد جمال باشا) بحاجة الى اسكات الحملة التي تثيرهـــا صحف مصر عليه ، فاتدب (آلتر ليفي) لهذه الغاية !! وكان (آلتر ليفي)؛ بصفته اميركيا ، يستطيع السفر الى مصر دون ان يقع في قبضة الانكليز !! ولهذا استدعاه اليه وأرسله الى مصر ليدرس لـــه استعدادات الانكليز . وليسكت حملة الصحافة عليه وعلى الدولة ، وليشرف على الموقف الحاضر في مصر !!

وعرف (آلتر ليفي) في رحلته هذه، التي استغرقت شهرا واحدا والتي عاد منها سالما بمهارة فائقة ، كما قال الباشا ، ان يحمل لاحمد جمـــال باشا معلومات موافقة لرغباته !!

فبالاتفاق بينه وبين القيادة الانكليزية تمكن من ايقاف حملة الصحافة في مصر على (احمد جمال باشا) لمدة من الوقت، وحمل الى هذا الاخير المعلومات التي أملتها عليه القيادة الانكليزية في مصر ، وعن استعدادهم ! وأدخل في روع (احمد جمال باشا) انه تدبر بمصر جواسيس يوافونه بالمعلومات الحقيقية عن استعدادات الانكليز وعن حركاتهم في جزيرة العرب !! وقد تمكن (آلتر ليفي) ، بالمعلومات التي كان يزود بها الباشا، عن خداعه مدة طويلة !.



ومن الادوار الخطيرة التي مثلها هذا الرجل مع (احمد جمال باشا) انه سلم اليه في نيسان سنة ١٩١٥ تقاريرا واردة اليه من شعبة الاستخبارات الانكليزية في مصر ، على انها تقارير خاصة واردة اليه لخداعه ؛ مفادها ان الانكليز قد عزموا على تجهيز حملة قوية على (اسكندرونه) لاحتلالها والسير من هناك الى (حلب) لقطع خط المواصلات بين تركيا والمنطقة السورية !. وقد أورد هؤلاء خلاصة الخطة التي اتبعها الانكليز لتحقيق هذه الغاية وهي :

● اولا ــ ضرب حصار قوي من سفنهم الحربية والتجارية حول السواحل السورية .

● **ثانيا ــ ارسال** بعض السفن الحربية لمراقبة السواحل وضربها بالقنابل لاثارة شعور الرأي العام في هذه المنطقة واضرام ثورة داخلية .

● ثالثا ــ ضرب المناطق التركية في (اسكندرون) .

● رابعا ــ احتلال (اسكندرون) والزحف الى الامام .

وفي الاسبوع التالي لوصول هذا التقرير الى (احمد جمال باشا)

ضرب الانكليز النطاق البحري حول السواحل السورية ، وراحوا يضربون بعض المراكز ، ثم ضربوا القنصلية الالمانية في (اسكندرون) بعد ان ارسلوا انذارا الى حاكم المنطقة يهددونه فيه بضرب القنصلية والمدينة اذا لم ينزل العلم الالماني ، وهكذا حملوا (احمد جمال باشا) على الاعتقاد بصحة هذه المعلومات التي بعثوا اليه بها عن طريق الجاسوس !•

● الخدعة الانكليزية !

كان هدف الانكليز ، من وراء هذا الحادث ، جليا ظاهرا ، فقد ارادوا حمل (احمد جمال باشا) على تحويل عدد كبير من قواته من جبهة فلسطين الى حدود شمالي سوريا ، وتأخير تجهيز حملة فلسطين على (قنـــــاة السويس) !• وقد نجحوا في هذا التدبير نجاحا باهرا ، اذ ساعدهم :

● اولا ــ على تحويل قوات وفيرة من الجنود العثمانيين من فلسطين الى شمالي سوريا •

● ثالثا ــ تأخير حملة قناة السويس الثانية •

● رابعا ــ اكتساب الوقت للقيام بالاستعدادات العسكرية لاجتياز ضفة القناة الى منطقة فلسطين بدلا من ان يجتاز الاتراك قناة السويس الى حدود مصر •

✱

وهكذا تمكن هذا الجاسوس الخطر ، بجهوده هذه ، من ان يخـدع القائد العام للقوات التركية ، وان يؤمن للانكليز فوزا كبيرا كان من اكبر الاسباب في هدم السلطنة العثمانية والقضاء على نفوذها في فلسطين وفي كل بلاد العرب !•

ومع هذا ظل (احمد جمال باشا) يثق به ويعتمد عليه للاتصال بمصر

وموافاته بكل ما يريده من معلومات عن حركات الانكليز واستعداداتهم الحربيـة !!

ويستدل من وثائق قيادة الجيش الرابع ان هذا الجاسوس نال لقاء عمله هذا الذي هدم به سيادة العثمانيين العسكرية مبلغ ٢٥٠٠ ليرة عثمانية ذهبا من العثمانيين انفسهم !!.

● جواسيس الصهيونية في كل مكان !

وكانت شبكة (آلتر ليفي) اقوى شبكات الجاسوسية الانكليزية الصهيونية في فلسطين ، لان النفوذ الذي كان يتمتع به رئيسها لدى (احمد جمال باشا) جعل لهذا الرجل ولاعوانه مناعة قوية تجاه كل من يشتبه بهم من جهة ، ولان الرجل كان يستطيع ان يبث جواسيسه في البلاد بصفتهم عملاء للمؤسسات التي يملكها دون ان يشعر بهم احد من جهة ثانية،كما كان له عملاء في جميع انحاء منطقة الجيش الرابع يوافونه بجميع الاخبار التي يريدها ، وقد اثبتت المعلومات التي ظهرت فيما بعد ان هؤلاء العملاء كانوا في القدس وحيفا ويافا وبئر السبع وفلسطين وبيروت وصيدا ودمشق وحلب وطرابلس وزحله وحمص واللاذقية والاسكندرون ! الا ان القيادة لم تتمكن من معرفة هؤلاء العملاء بوجه من الوجوه ، لان الذين اعتقلوا بعد اكتشاف امره اثبتوا انهم لا يعرفون عن رفاقهم شيئا !.

● وثائق الاعدام !.

عندما اعلن (احمد جمال باشا) قراره بتوقيف احد موظفي القنصلية الفرنسية في بيروت لابعاده الى الاناضول ، ظن ذلك الموظف ان الاتراك

يريدون اعدامه ! فأخذ يسترحم للعفو عن حياته مقابل ارشادهم الى الوثائق السرية التي خبأها القنصل العام في صدد علاقات نفر من السوريين والعرب بفرنسا !..

ولما كان الاتراك قد قلبوا هذه القنصلية رأسا على عقب ولم يجدوا فيها شيئا ، فقد اهتم (احمد جمال باشا) لافادة الرجل ، واراد ان يتولى هذه التحريات بحضور ممثلين عن الاجانب !!

فأرسل دعوة الى قناصل الولايات المتحدة الاميركية وسويسرا وهولاندا واسبانيا ، وقائد الدارعة الاميركية التي كانت يومئذ راسية في مياه بيروت ، للحضور الى دار القنصلية الفرنسية ليكونوا بجانب الهيئة التركية المؤلفة برئاسة (رضا باشا) قائد الفرقة ٤٣ في (عاليه) عند اخراج هذه الوثائق !. وفي الوقت نفسه استدعى (احمد جمال باشا) مستر (آلتر ليفي) بصفته اميركيا ليكون ضمن الشهود !!

وكان (آلتر) شديد الرغبة في معرفة هوية الرجل ، الذي انبأ بوجود هذه الوثائق ، وكان هذا مرتديا ثياب الجنود الترك ويضع على وجهه نظارة سوداء وقد كبر شعر ذقنه بحيث صعبت معرفته حتى على المقربين منه ! الا انه لم يكن هناك من يهتم لمعرفة حقيقته الا (آلتر ليفي) ! وتقدم الرجل من الحائط واشار على احد الجنود بان يزيح جدارا خفيا ظهرت وراءه كوة وجدت فيها وثائق القنصلية الفرنسية ، تلك الوثائق التي لو لم تظهر لما اعدم ذلك العدد الكبير من رجال لبنان وسوريا في السادس من شهر أيار سنة ١٩١٦ !.

وقد اراد (آلتر ليفي) ان يحصل على نصوص هذه الوثائق ، وكثيرا ما حاول ذلك ففشل ، ولكنه مع هذا تمكن من معرفة مضمونها وارسال معلوماته الى مصر !!

وثمة مسائل كثيرة تدل على مقدرار ثقة (احمد جمال باشا) بهـذا الجاسوس الذي كان يستثمر هذه الثقة ليسرق اسراره ويوافي بها رؤساءه!!

وكان من المعقول ان يتمادى هذا الجاسوس كثيرا لو لم يقع حـادث فجائي كان سببا في افتضاح امره !٠

● هكذا فضح الجاسوس !

اقام (احمد جمال باشا) عرضا للقوات في جهات (حرج بـيروت) ، وكان عرضاكبيرا ضد الحلفاء لمقاومتهم اذا حاولوا احتلال السواحل اللبنانية والسورية ! ولما كان الحلفاء يهمهـم معرفـة اسـرار هذه الاستعدادات العسكرية ، فقد عمد (آلتر ليفي) الى التقاط رسوم الوحدات العسكريـة بصورة سرية ، وذلك بواسطة آلة تصوير صغيرة وضع زجاجتها في عـروة سترته وكثيرا ما تمكن بواسطتها من التقاط صور الاسرار العسكريـة العثمانية وفي كثير من الظروف !٠

وقد لفتت هذه الآلة الفوتوغرافية نظر الملازم (صبحي نوري بك) (بعد ذلك اصبح من نواب المجلس الوطني الكبير) ، فاقترب من الرجل ، ولما تبين الآلة انفوتوغرافية في عروته وقف وراء (فـؤاد باشا) ، رئيس اركان حرب الجيش الرابع ، وأسر اليه بالامر ، فأفهمه (فؤاد باشا) ان الرجل من اصدقاء (احمد جمال باشا) فلا يجب ان يحرك ساكنا بل ان عليه مراقبته لمعرفة الغاية من اخذه الرسوم على هذه الصورة الغريبة ، كما يجب عليه ان لا يدع الرجل يذهب قبل معرفة اسراره !!

★

وقد اثبت التحقيق الذي قام به (صبحي نور بك) ، ان (آلتر ليفي) التقط صورا لعرض القوات العثمانية في محلة (حرج بيروت) ، كما تمكن

رجاله من انتزاع بعض هذه الصور وعرضها على (علي فؤاد باشا) !.

الا ان (احمد جمال باشا) لم يشك في حسن نية الرجل ، بل اصر على القول ان الرجل ادى اليه والى القيادة خدمات جلى . وان رجلا كهذا لا يمكن ان يكون جاسوسا للاعداء عليه !.

ولهذا عارض في مطاردة الرجل أو وضعه تحت المراقبة بأية صورة من الصور !.

● جمال باشا لا يقتنع !

الا ان (علي فؤاد باشا) لم ينزل على اوامر رئيسه ، فقد رأى نفسه بصفته رئيس اركان حرب القيادة مضطرا لان يتولى مكافحة الجواسيس وحماية قواته ، ولهذا فقد قرر وضعه تحت المراقبة الشديدة ليعرف حركاته دون ان يطلع القائد الاعلى على ذلك !.

وقد اثبتت هذه التحقيقات السرية التي قام بها صحة ظنونه ، اذ ورد بعد ذلك بايام تقرير يفيد ان (آلتر ليفي) اجتمع في فندق (دوتشرهوف) في محلة (الزيتونة) بالمستر (ادمسون) احد ضباط الدارعة الاميركية الراسية في مياه بيروت ، وان هذا الضابط استلم منه بعض الوثائق في رزمة كبيرة وانصرف الى الدارعة !.

ولما فاتح علي فؤاد باشا احمد جمال باشا بالامر الجديد ، أجابه هذا الاخير :

ـ انا الذي انتدب الرجل بمهمة فانت تعرف ان الحلفاء ضربوا حصارا حول سواحلنا ومنعوا مراكبنا الشراعية من نقل المحصول ، وهذا الحصار البحري الذي ضربوه علينا جعلنا في حالة احتياج شديدة وبات يهدد البلاد بمجاعة اعظم هولا مما هي عليه في الوقت الحاضر !.

ولما كان هذا الامر خطرا على مستقبل الجيش لهذا انتدبت (آلتـــر ليفي) لان يتوسط لدى قائد الدارعة لمخابرة الحلفاء في هذا الامر ، وان يقوم بمساومتهم في امر الاقليات ، حتى ما اذا تابعوا خطتهم هذه عمدت الى تنفيذ خطة ابعاد غير المسلمين من المناطق الساحلية والتشديد عليهم !.

ورجالك اخطأوا في هذا التدبير لانهم كانوا يراقبون رجلا عمدت انا لايفاده بمهمة رسمية كان من الواجب ان لا يطلع عليها احد من الناس !.



وتجاه هذه الحوادث ادرك (علي فؤاد باشا) انه من العبث اقنـــاع (احمد جمال باشا) بسوء نيات (آلتر ليفي) ؛ ولهذا صمم على ان يتبع خطة مراقبة الرجل من تلقاء نفسه !.

● خداع الباشا مستمر !

ويستدل من الوثائق التي عثر عليها بعد الحرب في مختلف دوائـــر حكومة (الباب العالي) في العاصمة العثمانية، ومن مختلف التقارير الواردة من الشعبة الاولى ، ان (آلتر ليفي) مثل عدة ادوار سياسية خطيرة ! ومع هذا فقد ظل (احمد جمال باشا) على ثقته بالرجل الجاسوس الى آخـــر ايام قيادته لمنطقة الجيش الرابع ! وقد كان في الامكان ان لا يشعر به احد من الناس لو لم يتخل الباشا عن القيادة في فلسطين !.



وقد اثبتت الوثائق المذكورة ان الجاسوس هو الذي نبه (احمد جمال باشا) الى المؤامرات التي يدبرها العرب في منطقته لاضرام ثورة في جهات (صيدا) استنادا لتقارير سرية وردته من (صيدا) نفسها ، كما انه هـــو الذي حرضه على (الدكتور عبد الرحمن شهبندر) و (عبد الكريـــم

الخليل) اللذين كانا في المنطقة ، لان هذه الخطة لم تكن موافقة لاماني الانكليز ؛ ولانهم كانوا ، في ذلك الوقت ، في طور المخابرات مع (الشريف حسين) امير مكة لاضرام ثورة عربية كبرى على الاتراك !

فقيام هذه الثورة الموضعية والحالة هذه يضر بهم كثيرا . لاسيما ان الفرنسيين تولوا ادارتها دون ان يستشيروا الانكليز ؛ ولهذا عارضوا في الامر واوعزوا الى (آلتر ليفي) ان يفضح امرها لاحمد جمال باشا !.



واثبتت الوثائق ايضا ان الرجل مثل ادوارا خطيرة في تحويل قسم كبير من القوات التركية الى العراق على الصورة التي سردناها آنفا !..

وفي تحويل قسم آخر من هذه القوات التي في فلسطين الى شمالي حلب باظهاره ان الحلفاء يريدون احتلال اسكندرون لقطع خط المواصلات بين شمالي سوريا والاناضول !.

وقد اثبتت معلوماته هذه الثورة التي اضرم الارمن نيرانها في ولاية (اورفه) ، وغيرها من ولايات جنوبي الاناضول ، والتي بدأت في ٢٠ شباط سنة ١٩١٥ اي بعد عشرين يوما من المعلومات التي بعث بها اليه (آلتر) !.

وقد اراد (آلتر ليفي) ان يصرف الباشا الى الشؤون الداخلية ، فأعلمه بحادث (صيدا) !!

وهكذا كان المجال فسيحا امام الانكليز لكي ينصرفوا الى تحقيق غايتهم الرئيسية المختلفة !!

ومع هذا فقد ظل (علي فؤاد باشا) يطارد الجاسوس الى ان تمكن من اعتقاله ، وفيما هو يهم بمحاكمته تمهيدا لاعدامه تمكن (احمد جمال باشا) من انقاذه وتهريبه !!

وفي اليوم العاشر من شهر كانون الاول سنة ١٩١٦ اشتدت هجمات الحلفاء على الجبهة العثمانية في فلسطين ، وفي الوقت نفسه بدأت القوات العربية الثائرة بمهاجمة خطوط سكة حديد الحجاز على حدود منطقة (شرقي الاردن) !.

وفي نفس الوقت عقدت القيادة اجتماعا في القدس درست فيه الموقف الحربي وقررت ما يأتي :

● اولا ــ ان يقوم قائد الفيلق السادس القائد فوزي بك (اصبح فيما بعد المشير فوزي باشا وزير الدفاع في الجمهورية التركية) بهجوم على منطقة العدو غربي (غزه) ، لان القوات الانكليزية ضعيفة في هذه المنطقة.

● ثانيا ــ تتقدم في الوقت نفسه من بئر السبع قوات الفرقة ٤٥ بقيادة الميرالاي عصمت بك (عصمت اينونو رئيس الجمهورية التركية فيما بعد) الى تلك الجهات للقيام بحركة التفاف حول القوات الانكليزية التي قد تتراجع امام القوات العثمانية الزاحفة .

ثالثا ــ تعاون قوات الجبهة الخلفية الاحتياطية ، هذه القوات ، في تشكيل جبهة الوسط .

وقد اتخذت هذه التدابير بصورة سرية، وسعت القيادة العليا لتنفيذها في اقرب وقت ممكن ! الا ان الانكليز ما لبثوا ان اطلعوا فورا على تدابير القيادة ، فأوفدوا قوات كبيرة من جنودهم الى المراكز التي يريد الاتراك مباغتتهم فيها ، كما أوفدوا ايضا اسرابا من الطائرات هاجمت قوات الترك الاحتياطية التي يراد بها تأليف قوات القلب ، وبذلك فشلت تدابير القيادة العثمانية فشلا تاما !!

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل اضطرت القيادة ، في الوقت نفسه ،

للتراجع عن الخطوط التي كانت في حوزتها ، بعد ان خسرت في هذه المعركة ١٢٥٠ جنديا وضابطا بين قتلى وجرحى !٠

● الجاسوسية الصهيونية هي السبب !

ومن المؤكد ان الجاسوسية الصهيونية كانت سببا لهذه الفاجعة ، لان قيام الانكليز باتخاذ هذه التدابير كان دليلا على انهم عرفوا باسرار القيادة العثمانية وعمدوا الى شلها !

فكيف عرف هؤلاء هذا السر الذي ظل منحصرا بين القائد (علي فؤاد باشا) ورئيس اركان حربه ؟٠٠ هذا السؤال شغل افكار (علي فؤاد باشا) كثيرا ، لا سيما ان تسرب امثال هذه الاوامر الحربية الى العدو قد تعدد في الآونة الاخيرة وتعددت ضحاياه ، وبات من الواجب وضع حد لمثل هـذه الامور ومعرفة الخائن داخل قيادة اركان الحرب !

ولهذا استدعى القائد ، رئيس الشعبة الاولى ، وفاوضه في الامر ، وطلب اليه وضع رقابة شديدة على ضباط اركان الحرب ومأموري الشيفرة لمعرفة كيفية اتصال هؤلاء بالعدو ، على ان يسرع بقدر امكانه لحل هذه الالغاز !

●

الجاسوسية اليهودية

الحركة الصهيونية كانت دوما
تتخـــذ النساء طعما وشركا !

● (استير حاييم) امرأة يهودية اتخذت من منزلها دارا لملتقى العشاق في الحي المسكوبي في القدس ، وكان يتردد عليها كبار الضباط الالمان والنمسويين وبعض الضباط الترك الذين يعرفون لغة هؤلاء المثقفين ! ومن هؤلاء الضباط الذين كانوا يترددون على هذه الدار (البنباشي عارف حكمت بك) من ضباط اركان الحرب ، و (اليوزباشي عادل بك) و (اليوزباشي جواد ادهم بك) !!

ولما كان هؤلاء يترددون دوما على هذه الدار التي تديرها اليهودية فقد حصر رئيس الشعبة الاولى جهوده ، عندما عهد اليه القائد بكشف شبكة الجاسوسية ، بهم ، فعرف ان الاولين يترددان عليها للمقامرة بمبالغ قليلة من المال قصد التسلية وتضييع الوقت ، في حين كان الاخير (جواد ادهم بك) يرتادها للاجتماع بيهودية حسناء تدعى (ليديا مردوخ سيسونفتش) !

ورأت القيادة ان تحتال لمعرفة ما اذا كانت الاخبار تتسرب خلال اجتماعاتها بواسطة هذا القائد ، فعقدت اجتماعا قررت فيه بعض التدابير العسكرية ثم استرجعتها بعد انصراف ضباط اركان الحرب وفعلا اتصل جواد ادهم بالعدو ، وكانت هذه الخدعة سببا في تكبيد الانكليز خسائر فادحة !.

وعندئذ اتضحت للقيادة خيانة هذا الضابط الذي اعتقل بعد يومين في دار (استير) يتشاجر مع ليديا وهي تبلغه استياء الانكليز منه !..

ولكن هذا القائد الذي اوقف بالجرم المشهود ، لم ينتظر محاكمته ، بل تناول فورا مسدسه وافرغ منه رصاصة على صدغه كانت كافية للقضاء على حياته !.

اما (ليديا) ، فقد اصرت على الانكار في بادىء الامر ، الا انها عادت فاعترفت بأنها لا تعرف من الامر شيئا ، بل هي آلة بيد (آلتر ليفي) الذي دفعها للاتصال بالقائد لقاء جمالها ومبلغ كبير كانت تحمله اليه ، وانكرت معرفتها مكان الجاسوس الخطير !.

فاستدعاها (علي فؤاد باشا) الى غرفته ، واستجوبها ، فلم تنكر انها نمسوية ، ولكنها قالت ان خدمة قومها اليهود توجب عليها ان تنسى وطنها النمسوي ، ولهذا خدمت (آلتر ليفي) لا كجاسوسة انكليزية ، بل تحقيقا لخدمة الوطن القومي اليهودي !!

ولم تزد الجاسوسة الحسناء على ذلك شيئا ، كما انـها رفضت ان تجيب على السؤال الذي وجهه اليها عن مكان اختفاء (آلتر ليفي) رغـم جميع التهديدات ، فأدرك القائد عندئذ ان من العبث التحقيق مع هـــذه الفتاة بالحسنى ، ولهذا احالها الى مقر القيادة في دمشق ، ومنه احيلت الى الديوان الحربي العرفي !

● البحث في امر الجاسوس !

وتوالي هذه الحوادث اظهر عجز الدوائر العسكرية في هذه القضايا المتعددة ، واصبح هذا الجاسوس خطرا شديدا على سلامة الجيش ، ولهذا قرر الباشا الاستنجاد بالسلطة الادارية ، فاستدعى اليه متصرف القـدس وحادثه بالامر !.

فتم الاتفاق على الاستنجاد بعارف بـــك ابراهيم ، رئيس بوليس القدس ، فخابره المتصرف ، فلبى الدعوة ، ولما بات في مقام المتصرفية خاطبه المتصرف قائلا :

ـ لقد وعدت دولة الباشا بأنك ستحقق المهمة التي سيعهد اليك بها

(علي فؤاد باشا) ، وانا بدوري اثق بك ثقة تامة ، وهذه الثقة تجعلني اؤمن بفوزك ، فالبلاد باتت محاطة بالأعداء من جميع جهاتها ، وابناؤها هنا وفي الجيش يشتغلون ضدها ، ولا اريد منك ان تقاوم الناس وتعمد الى استمالتهم الى صفوفنا ، ولكن هناك رجلا واحدا يهدد سلامة الجيش والبلاد معا ، فأريد منك ان تقبض عليه !

ويكفي لكي ابين لك خطورة هذا الرجل ، انه تمكن من الحصول على ثقة (احمد جمال باشا) ثم ثقة ضباطنا والتغلغل في قلب اركان الحرب، وسرقة كل الخطط التي وضعناها للدفاع عن الجبهة !.

وقد بلغ به الامر انه اصبح باستطاعته معرفة ما نقوله الآن نحن الثلاثة ، وفي هذا خطر كلفنا المئات من ارواح جنودنا !.

ـ انني على استعداد يا صاحب الدولة لما تأمرونني به .

ـ لم افاتحك بما تقدم لأخوفك من الرجل ، فأنا على اعتقاد وطيد بشجاعتك ومقدرتك ، انما رويت لك ذلك لأبين لك خطورة الرجل ومقدار الاضرار الجسيمة التي انزلها بنا وبالجيش معا !.

وازيد على ذلك ، انني طاردته بواسطة عدد كبير من رجالي المخلصين الا انهم فشلوا كلهم في هذه المساعي ولم يصلوا الا الى القشور التي كلفتنا ايضا تضحيات عديدة !.

اما انت ، فأني اعتمد عليك وحدك في تحقيق هذه المهمة !.



وعد عارف بك بتحقيق رغبات القائد والمتصرف ، وانصرف كل الى عمله .

حدث ذلك في اذار سنة ١٩١٨ ، حين عهد علي فؤاد باشا الى عارف بك بمطاردة الجاسوس !.

وفي آخر يوم من هذا الشهر كان عارف بك راكبا جواده وذاهبا من ادارة الشرطة الى منزله، ولم تكن توجد في ذلك الوقت عربات او سيارات، والمسافة بين الدائرة والبيت طويلة ، وكان رئيس البوليس يتنقل بين القدس ومنزله وضواحي القدس على الجواد !.

وكانت افكار الرجل منصرفة الى الجاسوس ليكفي القيادة شروره ودسائسه !.. ولما انتهى به المسير الى خلف مستشفى البلدية (عند شارع يافا) ، شاهد في احد الازقة المتفرعة من شارع طريق يافا شخصين يتقدمان نحو المنطقة وهما على بعد مئة متر منه ، ولو لم ير احدهما يدير وجهه عندما شاهده قادما الى جهته ثم يمعن بالركض كأنه يحاول الفرار منه ، لما آبه لهما مطلقا !.

فاشتبه عارف بك بالرجل ، وهب لمطاردته دون ان يعرف من هو ، ولهذا حول عنان الجواد الى جهة الزقاق فلم يجد الرجل ، فترجل وراح يتغلغل في ذلك الزقاق الضيق الذي انتهى به الى بناية قديمة مهجورة ليس لها منفذ ، فأدرك (عارف بك) ان الرجل لا بد وان يكون مختبئا في هذه البناية ، فدخل اليها ، وكانت هناك حفرة مسدودة تقريبا بالحجارة والاشواك ، فتطلع الى داخلها فشاهد الرجل فأخرجه من الحفرة وفتشه فلم يجد معه شيئا حتى ولا اوراق هويته !. ولما سأله عن امره اجابه بلغة عربية وبلهجة ابناء القدس انه شاب عربي يدعى (محمد الخلف) من اهالي القدس وكان في الجبهة الحربية يدافع عن الوطن ، وان له والدة وزوجة وولدين جميعهم في حالة المرض الشديد ولهذا فر من الجبهة لكي يراهم ويعينهم !..

وراح الرجل يبكي ويرجو رئيس البوليس ان يخلي سبيله لانـه اذا اخذه الى مركز القيادة عوقب ومنع من رؤية عائلته !٠

ـ وكيف تمكنت من الوصول الىهنا دون ان يشعر بك رجال الشرطة العسكرية ؟!٠

ـ كان لدي بعض النقود فتمكنت بواسطتها من الوصول الى هنا ، معي الآن خمس ليرات عثمانية ذهبا في امكانك أخذها مقابـل السماح لي بمتابعة سيري لرؤية عائلتي !٠

ـ ماذا تقول ؟!

ـ لا اعطيكم اياها كرشوة بل كهدية عن طيب خاطر !٠٠

ـ بامكانك الاحتفاظ بهذا المبلغ٠ أما الآن فسر امامي الى الدائرة !٠

ـ مولاي رحمة بعائلتي فان افرادها بحالة المـــوت واعتقالكم اياي سيؤدي بهم حتما الى الموت ، وانت ٠٠٠

ـ لا فائدة من الجدال فسر معي !٠

ـ مولاي انا غني وفي امكاني ان اعطيك اضعاف هذا المبلـغ اذا اخليت سبيلي ، وليس لكالا ان ترافقني الى المنزل فتنال ما تريد من المال!٠

ـ ولماذا فررت من وجهي عندما رأيتني قادما ؟٠

ـ لانني اعرف تمسكك بالواجب !٠

ـ اذن ما دمت تعرف هذه الحقيقة فهيا بنا ٠



ان الشك ساور عارف بك ابراهيم عندما رأى هذا الالحاح ، واعتقد اعتقادا راسخا بأن هذا الرجل ليس عربيا بل هو يهودي ، وهو اذا لم يكن (آلتر ليفي) الجاسوس الذي يطارده ، فهو ولا شك احد اعوانه ، ولـذا تناول الاصفاد الحديدية من جيبه ووضعها في يدي الرجل ، وامسك بطرف

السلسلة ثم امتطى جواده وساقه الى مخفر البلدية ، ولم يكن في المخفر ساعتئذ الا اثنان من رجال الشرطة ، فاستدعاهما وسلم اليهما الرجل وطلب منهما حفظه في المخفر الى ما بعد الظهر ريثما يعود من المنزل !. ولما اقترب احد الشرطيين من الرجل صاح قائلا :

ـ هذا يا مولاي (آلتر ليفي) الجاسوس الخطير !.

وكانت هذه الصيحة كافية لاخافة الجاسوس الذي حاول انكار هويته في بادىء الامر ، الا ان الشرطي اكد لرئيسه حقيقة هويته ؛ ولذا امره (عارف بك) بأن يشدد الرقابة عليه الى ما بعد الظهر ؛ لان (علي فؤاد باشا) والمتصرف كانا غائبين في تلك الفترة !.

وما كاد (عارف بك) يبتعد عن مخفر الشرطة ، حتى استدعى (آلتر ليفي) الشرطي الذي افشى سره ؛ وطلب اليه ان يعد له شيئا من الطعام ، ونقده ليرة عثمانية ذهبا ثمنا لهذا الطعام ، فقبل الشرطي بهذه المهمة وخرج الى اقرب مطعم مجاور للمخفر وهو يعتقد اعتقادا تاما انه سيكسب حتما ما يتبقى من الليرة الذهبية !.

ولم يتجاوز غياب الشرطي ربع الساعة ، ولما عاد الى المخفر وجد بابه مفتوحا وزميله غير موجود ! فأسرع الى الغرفة المجاورة التي حجز فيها الجاسوس فلم يجده ايضا ، لان الجاسوس عرف كيف يخدع الشرطي الآخر ويلوذ بالفرار !.



ارسلت الرسل الى (عارف بك) تنبئه بالحادث، فبث رجاله في مختلف الجهات ، وبعد الغروب اعتقلوا الشرطي الذي سبب الفرار ، فقال انه جلس بعد ذهاب زميله على باب المخفر ناظرا الى الطريق واذا به يشعر ان رجلا يضربه من الوراء ، فارتمى على الارض ، ولما افاق وجد ان السجين قد فر

فلحق به الى الخارج وظل يطارده حتى مدينة (القدس) الداخلية ، الا ان الرجل توغل بين الازقة واختفت آثاره !.

الا ان هذه الافادة الملفقة لم تقنع رئيس البوليس ، خصوصا ان الطرقات التي اشار اليها الشرطي حافلة دائما بالاهلين والجنود ، وليس من الهين ان تجري هذه المطاردة في الطرقات والشوارع ولا يشعر بها احد من الناس !. ولهذا فقد ضيق عليه الخناق فاعترف له بأنه بعد ذهاب رفيقه استدعاه السجين ، وعرض عليه تهريبه مقابل ٢٠ ليرة عثمانية ذهبية ، فنقده منها اربع ليرات ومضى واياه ، الى منزله في (المستعمرة النمسوية) حيث جاءته امرأة طاعنة بالسن ببقية المبلغ ، فأخذها واطلق الرجل !.

فتوجه رئيس البوليس على رأس قوة من رجاله الى (المستعمرة النمسوية) وطوقها من جميع جهاتها ثم اعتقل كل من فيها ، واجريت معهم تحقيقات دقيقة ، الا ان كل هذه التحقيقات ذهبت سدى ، لان احدا من هؤلاء لم يعترف بمشاهدته للرجل او للشرطي ، كما ان المنزل الذي دل عليه الشرطي وجد خاليا من السكان ، وقد اثبت معظم سكان المستعمرة ان الرجل لا يقطن في هذا المنزل وانه خال منذ اكثر من عام ، وعلى هذا ذهبت جميع التحريات التي اجريت في سبيل اعادة القبض على الجاسوس سدى!.

● حكم بالاعدام !

وقد أثرت هذه الحادثة على (علي فؤاد باشا) تأثيرا عظيما، فاستدعى المتصرف و (عارف بك) ، وحقق معهما في الحادث، ولما تأكد له ان الشرطي خان واجبه واخلى سبيل الجاسوس ، قرر احالته الى الديوان الحربي العرفي لمحاكمته على الفور !

اجتمعت المحكمة العسكرية في (القدس) وحاكمت الشرطيين معا

فاستمعت الى افادة (سعيد المقدسي) عن الحادث (وسعيد هو الشرطي الذي عرف الجاسوس) ، وقال انه اوضح امره لرئيسه امام رفيقه (خليل عبد الكريم) ، واكد انه (آلتر ليفي) الذي ارتكب الجرائم والذي تطارده السلطة العسكرية ، وانه لما ذهب الى السوق ليأتي بالطعام ، لفت انظار رفيقه لزيادة المراقبة ، وايد هذه الاقوال بعض الشهود الذين رأوا الشرطي (سعيدا) يذهب الى السوق بمفرده !.

ثم جاء الجنود وشهدوا انهم اوقفوا الشرطي (خليل) في ضواحي (القدس) وهو يحاول الفرار نحو معسكر الاعداء !.

وقد جاءت هذه الشهادات ضد (خليل عبد الكريم) ، فحكمت عليه المحكمة بالاعدام وبرأت ساحة رفيقه ، وقد نفذ حكم الاعدام في اليوم التالي!

★

و (عارف بك ابراهيم) الذي لم يره احد من الناس يبكي ، بكى في ذلك اليوم لرؤيته (خليل عبد الكريم) يعدم بناء على قرار الديوان الحربي العرفي ، لاعتقاده بأن هذا الشرطي لم يقدم على الخيانة الا مدفوعا بعامل الحاجة ، وانه لم يقدر خطورة الرجل واهتمام القيادة بأمره ، فظن انه رجل عادي ، ولذا أطلق سراحه مقابل عشرين ليرة ذهبية وهي ثروة طائلة في نظره بالنسبة الى احتياجات الناس في ذلك الوقت ، واخذ المبلغ وحاول الفرار الى حيث الثوار العرب ، وكان يستطيع كعربي ان يلتحق بهم ، وان ينقذ نفسه من العقوبة المفروضة عليه !.

ولم يخطر في باله قطعا ان يفر نحو العدو للعمل في صفوفه كجاسوس على دولته ، وهو الامر الذي استندت اليه المحكمة في قرار اعدامه !.

● هذه هي الخواطر التي سرت ببال رئيس البوليس في (القدس) وهو يضع الخطة الجديدة لمطاردة الجاسوس ، وقد بات اشد رغبة في

الاقبال على مطاردته وتوقيفه انتقاما للدماء البريئة التي كان يتسبب في اهراقها !.

● هل هذه خيانة ؟

خلال هذه الحوادث اشتدت المعارك الحربية في فلسطين ، وتوالت الهجمات الانكليزية على جبهتي (غزة) و (بئر السبع) ، وطلبت قيادة (جيش الصاعقة) النجدات من قيادة القوات العثمانية في سوريا وبلاد العرب ، ووضع برنامج جديد للدفاع وسبل نقل القوات الاحتياطية من دمشق الى فلسطين ومن لبنان الى حيفا ، وكانت هذه الخطة سرية ، ومع هذا اتصلت بآذان (آلتر ليفي) الذي لم يغادر (القدس) ! وتمكن من ايصالها الى الانكليز ، فأرسلوا سفنهم الحربية الى سواحل (حيفا) و (عكا) ، فضربت هذه القوات وهي قادمة الى فلسطين وضعضعت صفوفها ، ثم قامت بهجمات اخرى على مناطق الحدود في الجبهة ، فأضاعت على القيادة العثمانية كل خطة متخذة في هذا الشأن ، وعندئذ ادرك (علي فؤاد باشا) ان كل هذه الضربات صادرة عن (آلتر ليفي) ، فاستدعى اليه (عارف بك) وانذره للمرة الاخيرة بضرورة العمل على ايقاف الجاسوس الصهيوني عند حده !.

وفي نفس الوقت ورد اشعار الى (عارف بك) من رجاله السريين ، يفيد ان (آلتر ليفي) شوهد في قرية (النبي صموئيل) ، فأنبأ (علي فؤاد باشا) بالامر ، فأبلغه ان عليه ان يقلب هذه القرية رأسا على عقب ليتمكن من توقيف الرجل ولو اضطر الى توقيف كل من فيها وحرقها ، وزوده بالقوة العسكرية الكافية لتنفيذ قراره هذا !.

ولليهود في المستعمرات التي أسسوها في فلسطين عيون وارصاد

لمراقبة رجال الحكومة وقواتها، وكلهم يعرفون(ليفي) ويفتحون بيوتهم له، وليس من السهل حملهم على الاعتراف بمكان وجوده !.

ولم يكن (عارف بك) يجهل هذه الحقيقة ، فطوق القرية واعتقل السكان ووضعهم تحت حراسة الجنود ، الا انه لم يجد الجاسوس بينهم ، واستجوب رجال القرية جميعا ، وعددهم اكثر من مئتين ، وقادهم الى السجن ، ومع هذا فلم يتمكن من الاهتداء الى اثر للرجل فأمره (علي فؤاد باشا) بمضاعفة الشدة ، فداهم دار الجاسوس في المستعمرة ودور اقاربه واصدقائه ، وقد بلغ عدد اليهود الذين اعتقلوا بجريرة (ليفي) ١٢٥٠ شخصا لم يتقدم احد منهم لارشاد الحكومة الى مقره !.

ولهذا عمد رئيس البوليس الى الحيلة ، فأخذ يتظاهر بين جماعات اليهود باستيائه من خطة (علي فؤاد باشا) الشديدة القاسية، وبتقديره لهذا الجاسوس الذي اتعبه واتعب القيادة،ويظهر رغبته في التعرف اليه ومساعدته على النجاة !.

ولكي يؤكد نيته الطيبة هذه كان يسهل السبل لابتعاد بعض اليهود عن مطاردة الجنود لهم ، كما كان يساعد بعض المشبوهين على الفرار !..

وقد جازت هذه الحيلة على القوم ، وآمنوا بها ، ووصلت اخبارها الى (آلتر ليفي) الذي اراد ان يجرب (عارف بك) فأوعز الى حماته ان تعود الى منزلها ، ولم تكن مسؤولة عن اعماله !.

واتصل نبأ عودة حماة الجاسوس برئيس البوليس ، فقصدها مع نفر من البوليس السري ، ولما كان قد حزر الغاية الحقيقية من عودتها الى المنزل فانه لم يضايقها ، بل تظاهر بعطفه عليها وعلى عائلة (ليفي) ، وحاول اقناعها بوجوب تسليمها الرجل او ارشاده الى مقره !. ولما افهمته عدم استطاعتها ذلك لجهلها مقره ، تركها وشأنها وعاد الى مركزه ، ثم اخذ يتردد عليها من وقت لآخر متظاهرا بعطفه عليها !.

وبعد عودة هذه المرأة الى منزلها بأسبوع واحد جاءها (عارف بك)، وابتدرها قائلا :

ـ انا على ثقة تامة بانه بعد هذه المطاردات العنيفة لم يبق في امكان ليفي الخروج والابتعاد عن (القدس) ، وانا على استعداد تام لمساعدته لتحقيق غايته هذه ، فاجمعيني به ترين كيف اساعده على ذلك !!

ـ ولكني لا اعرف مقره !.

ـ انا لا اريد منك الجواب عن سؤالي هذا لانني على ثقة تامة بأنك لن تذكري اية كلمة الآن ، وانما جئت لابلغك انني على استعداد تام للتفاهم واياه على طريقة تساعده على الفرار ، فبلغيه رغبتي هذه وسأعود اليك بعد يومين لاخذ الجواب النهائي !.

ـ ولكنني لا اعرف مقره !..

فلم يجبها (عارف بك) واكتفى بتحذيرها قائلا :

ـ يجب ان تكوني على حذر تام وان لا تبلغي احدا ما دار بيننا من حديث لان هذا الامر يؤدي الى اعدامي كخائن وهـــو امر لا يمكنني السكوت عليه فأضطر للانتقام منك !.

● المفاوضات !

ودارت مفاوضات سرية بين (عارف بك ابراهيم) وحماة (آلتر ليفي)، كانت هذه الاخيرة تتصل خلالها بطريقة غامضة بالجاسوس الذي وافـق ، على ما يظهر ، على ان تأتيه بعارف بك بعد ان وعدها بأن يتفق وصهرها على اخفائه او ابعاده عن (القدس) مقابل مبلغ من المال ، ولهذا جاءها في المرة الثالثة سائلا اياها ماذا قررت ، اجابته :

ـ لقد جاءني اليوم احدهم فأوفدته الى (آلتر) ليبلغه رغبتكم في الاجتماع به فوافق على هذا قائلا انه لا يخاف سواكم ، وانه على استعداد تام لقبول شروطكم ، فعليكم ان تذكروا المبلغ الذي تريدونه لآتيكم بــه فـــورا !.

ـ ان هذا المبلغ سأعينه لآلتر نفسه !

ـ ولكنني مستعدة لان ادفع لكم هذا المبلغ مقابل تعهدكم بعــدم مطــاردته !.

ـ ولكن بقية القوات ستظل تطارده !.

ـ لا يعبأ ببقية القوات ، ولا يهمه في الدرجة الاولى الا ان تبتعدوا اتم عن طريقه ، ولهذا ارجو منكم ان تعينوا لي المبلغ فآتيكم به !.

ـ لا يمكنني قبول اي مبلغ الا منه ، ولهذا ارجو منك ان تقوديني اليه ، وعندما اجتمع به تتفق على كل شيء ! الا انني اعدك منذ الآن ، بل اتعهد لك ، بأنني سأتفق معه وسأساعده على الفرار !.

ـ اذن في امكانكم العودة الي في ليلة غد فنذهب معا لمقابلتــه ، اذا وافق هو على ذلك،واذا لم يوافق فلن استطيع ان افعل شيئا ولو قتلتني!.

فتركها (عارف بك) ، وانصرف وهو على اعتقاد وطيد ان (آلتــر ليفي) سيوافق حتما على هذه المقابلة بعد ان اقنعه بحسن نياته وبرغبته في خيانة وظيفته والاتفاق واياه على تهريبه ، ولذا استدعى اليه ثلاثة من رجاله وابلغهم انه ذاهب بمهمة ستوصله حتما الى الجاسوس الذي سيكون لهــم ايضا شرف الاسهام في توقيفه !.

واتتدب احدهم (سليمان بشوتي) لكي يراقب منزل حماة (آلتــر ليفي) منذ العشاء دون ان يفسح لاي كان معرفته او الشعور بأنه يراقب

المنزل ، و (احمد عبد السلام) ان يلحق به عن بعد ، والثالث (جاد الله ابراهيم) ان يتبع الآخر ، وهكذا يؤلفون سلسلة تساعد على معرفـة الطريق التي سيسلكها هو وحماة الجاسوس ، فيسرعون الى مساعدته اذا اقتضى الامر !..

و بعد ان اتخذ رئيس البوليس هذه التدابير الشديـدة ، توجه منفردا الى المستعمرة النمسوية ، ودخل على حماة ليفي ، فوجدها في انتظاره وقد لفت حول عنقها شالا من الحرير وحملت بيـدها فانوسا صغيرا مضاء بزيت الزيتون ، وطلبت اليه ان يلحق بها الى مقر الجاسوس !.

● مخبأ الجاسوس !

للوجيه الفلسطيني (خليل بـك السكاكيني) دار كبيرة في (القدس) قائمة تجاه دار الحكومة مباشرة ، وهي مؤلفة من طابقين كل منهما من عدة غـرف !

والاستاذ السكاكيني اديب معروف ، ليس في فلسطين فحسب ، بل في البلاد العربية كافة ، وقد اتهم (خليل بك السكاكيني) اثناء الحركـات الاصلاحية ، فاعتقل مع رجالات سوريا في سنة ١٩١٥ وارسل الى الديوان الحربي العرفي في (عاليه) ، ثم نفي الى الاناضول مع غيره من رجـالات العرب الذين سيقوا يومئذ الى الديوان المذكور ، ولذا كان منزله في ذلك الوقت خاليا من السكان !

ولما غادر (عارف بك ابراهيم) ، رئيس البوليس في (القدس) ، حي المستعمرة النمسوية برفقة حماة الجاسوس ، ورأى المرأة تسير جهـة دار الحكومة ، تعجب من الامر ! وقد ازداد عجبه عندما رأى المرأة تقف امام باب دار (السكاكيني) ، فسألها عن معنى ذلك ، فقالت مبتسمة :

ـ لم يكن يخطر ببالكم ان من قلبتم الدنيا للعثور عليه يختبىء في دار ملاصقة لدار الحكومة !

ـ كلا لم يخطر ببالنا ابدا ان الجرأة تبلغ بالرجل الى هذا الحد فيعمد الى الاختباء بالقرب من دار الحكومة !.

ـ سترى اعظم من ذلك !

ـ مـــاذا ؟!

ـ ستجتمع الآن (بآلتر ليفي) ، وسترى منه ما يسرك ، لانه ، وهو هنا ، قادر على رؤية كل ما يجري في دار الحكومة وما يجري في غرفـة المتصرف ، مما يساعده على تتبع حركاتكم بدقة تامة ، وقد تمكن ، وهو في هذا المكان ، من معرفة كل حركاتكم ، وانصاره الذين كانوا يأتون لزيارته في هذه المنطقة كانوا يدخلون عليه بهدوء تام لا يخشون مراقبة الحكومة او رجالها لهم !.

ـ آه ...

● اجل ، تعجب (عارف بك ابراهيم) من هذه المعلومات التي زودته بها حماة (آلتر ليفي) ، اذ لم يخطر في باله ان يجد الجاسوس في هـذا المكـان !

وكان (خليل بك السكاكيني) في اقصى الاناضول ، وقد مضى على ابتعاده عن هذه المنطقة اكثر من عامين ، فكيف حصل هذا الجاسوس علـى مفتاح المنزل ؟!.

وكيف تمكن من الاقامة فيه ؟.

وكيف نقل حاجياته الى هذا المنزل ؟.

وكيف لم يشعر به رجال الشرطة والحراس وهو يقطن هـذا المنزل ، كما تقول حماته ، منذ فترة طويلة ؟!

هذه هي الاسئلة التي مرت في مخيلة (عارف بك) وهو يقترب مع المرأة من منزل (السكاكيني) ، حتى اذا وصلا الى بابه انحنت المرأة امام حجر كبير موضوع امام الباب ؛ وتناولت من تحته مفتاحا فتحت به الباب وصعدت الدرج الى الطابق العلوي !.

ومع ان باب هذا الطابق المطل على مدخل الدار كان مغلقا يمكن فتحه بالاكرة دون مفتاح ، فان المرأة قرعت الباب ثلاث مرات متقطعة وبصورة خاصة ، ثم ادارت الاكرة وفتحته ، وكانت هذه الحركة ايذانا بقدومها !

ثم دخلت بعارف بك الى ردهة كبيرة كانت خالية من الرياش ومثلها الاخرى مما يدل على ان المنزل خال من السكان !.

والى يسار الداخل تقع غرفة ذات باب واحد ، فقرعته بطريقة خاصة وقالت :

ـ يا هـودا !

فأجابها صوت رجل :

ـ في ارض ...

ـ اسرائيل لنـا !.

ـ هل من غريب ؟

ـ كلا !.

ـ هل اتى « جبرائيل » ؟.

ـ اتى يحمل غصن السلام !.

وبعد هذه المحاورة التي وقف (عارف بك) يستمع اليها ساكتا ، سمع حركة ادخال المفتاح في القفل ، وفتح الباب وأطل منه في الظلام رأس رجل عرف رئيس البوليس انه رأس الرجل الذي اعتقله في طريق يافا بالقدس ، والذي فر من المخفر وكان فراره سببا في اعدام ذلك الشرطي البائس ! وقد

استقبل الجاسوس رئيس البوليس بحفاوة بالغة وطلب منه الدخول !
الا ان رئيس البوليس باغته بقوله :
ـ (آلتر ليفي) ، باسم القانون ، اقبض عليك ، فارفع يديك !..
وهنا بوغت (ليفي) ، والتفت الى حماته وحملق فيها سائلا اياها عن معنى ذلك !.

والمرأة نفسها لم تكن دونه دهشة واستغرابا ، فالتفتت بدورها الى (عارف بك) وسألته عن معنى ذلك وعن قسمه بأن لا يمس صهرها بأذى ، فابتسم (عارف بك) وقال :
ـ ان واجبي يقضي علي بتوقيف الرجل، ولذا خدعتك للوصول الى هدفي !.. والآن ليس على (آلتر) الا مرافقتي الى دار الحكومة !.

● شرف عارف بك

لما اصر عارف بك على توقيفه ، خيل الى الجاسوس انه يطمع في المال، فأراد استمالته بالمبلغ الذي يريده ، فتناول من محفظته خمسة آلاف دولار وعرضها عليه مقابل تركه ، الا ان (عارف بك) رفض هذا المبلغ ، فظن (آلتر ليفي) ان الرجل يرفض لانه يطمع في مبلغ اكبر ، فعرض عليه عشرة آلاف دولار قائلا :
ـ ليس لدي الآن الا خمسة آلاف دولار ، وسأعطيك حوالة بخمسة الاف اخرى تقبضها من (دوتش بالستين بانك) !.
ـ قلت لك ان الواجب يقضي علي بتوقيفك !

ـ اليك هذه الحوالة بخمسة عشر الف دولار ، فيكون المجموع عشرين الفا من الدولارات ، فاذهب واقبض المبلغ من (القدس) او (دمشق) او من اي بلد اردت ، فيدفع لك فورا ، وسأظل هنا تحت طلبك ، وعندما

يصبح المبلغ في متناول يدك عد الى هنا وافعل بي ما تريد !.

ـ قلت لك ان القانون يجب ان يأخذ مجراه ، وعليك ان تستعد لترافقني !.

ـ كلا ، لن اذهب !

ـ بل انك ستذهب مرغما !

ـ وماذا تستفيد من أخذك اياي الى المركز ؟

ـ اكون قد قمت بواجبي !

ـ وماذا يكون مصيري انا ؟.

ـ ان مصيرك معروف ، فستحال فورا الى المحكمة العسكرية التي لديها الادلة على اعمالك فتحكم عليك في الحال !.

ـ وبعدئذ ؟

ـ ينفذ بك حكم المحكمة وهو الاعدام ولا شك !.

فأطلق الرجل قهقهة عالية تجاوب صداها في انحاء المنزل الخالي من السكان ، ثم التفت الى (عارف بك ابراهيم) وخاطبه بلهجة الناصح قائلا :

ـ اسمح لي بأن اخاطبك بصراحة تامة !. انت طفل جاهل ، فأنا لن اشنق ولو علقتم لي المشنقة وقدتني انت بيدك اليها !.

ـ لا مجال للترهات فهيا اتبعني !.

ـ لقد اردت خدمتك انت شخصيا والثروة التي اعرضها عليك ليست من عندي بل من عند الانكليز ، وهي ثروة طائلة اذا اخذتها عشت طوال حياتك في بحبوحة ويسر !

ـ انا لا اخون وطني .

ـ ليس في عملك هذا اية خيانة ، فأنت لن تؤثر في مصائر الامور ،

وسترى بنفسك انني لن اشنق رغم جميع المحاولات التي ستبذلها انت ورجال حكومتك ! اما (القدس) فستسقط بعد بضعة ايام في حوزة الانكليز ، ولا يمكنك ، سواء اخليت سبيلي او اعتقلتني ، ان تغير مصير هذه البلاد ، وعلى هذا انصح لك بأن تغتنم هذه الفرصة وتتناول حصتك من المغنم ، والا فالعاقبة ستكون وخيمة !



فرغ صبر (عارف بك ابراهيم) من هذا الحديث الذي لم يكن يتفق وخطته ومبادئه ، فقطب حاجبيه وأمر الرجل بأن يستعد للذهاب معه ، ثم تناول من جيبه صفارة وصفر بها ايذانا لرجاله الذين كانوا يتعقبونه !.

ولما ادرك (آلتر ليفي) انه لم يبق هناك من سبيل لاقناع رئيس البوليس ، قال له :

ـ لقد اثبت لي الان انك ولد طائش وغر جاهل ، ولما كنت ترفض هذه الثروة الطائلة وتفضل الواجب الواهي عليها فاني اكرر عليك الآن ما قلته لك : انني لن اشنق ، وستراني حرا طليقا رغم انفك ، كما سترى (القدس) بعد ايام في قبضة الانكليز ، وهنا يبدأ مجد اسرائيل بتشييد الوطن القومي الصهيوني !.

ـ هذا شأنك،أما انا فغير نادم على شيء ما دمت اقوم بواجبي بشرف.

وهنا دخل الشرطيان اللذان كان (عارف بك ابراهيم) قد عينهما لتتبع خطواته ، فطلب منهما ان يكبلا الرجل والمرأة بالاصفاد ، ثم تحرى المنزل بدقة ، فعثر فيه على اوراق خطيرة تثبت جاسوسية (آلتر ليفي) ، كما عثر على آلة ارسال للمخابرات ركزها الرجل على سطح الدار لمخابرة مقر قيادة الاعداء ، فضبط هذه الآلة التي تساعده على اثبات جريمة الجاسوسية عليه ، ولما عرضها على الجاسوس قال هذا مبتسما :

ـ لا حاجة لكل هذه الادلة فسأعترف بكل شيء ، ولكن ثق بأنه لن ينالني أي اذى !•

● التحقيق مع الجاسوس الصهيوني

وقد كان توقيف الجاسوس على هذه الصورة التي بسطناها مدعاة شرف لعارف بك ابرهيم، وقد هنأه قائد القوات (علي فؤاد باشا) ومتصرف اللواء امام جماهير الضباط والموظفين •

ثم استدعى (علي فؤاد باشا) الجاسوس الى ديوانه ، وحدثه في هذه القضية فأبى ان يجيب بأية كلمة ولما هدده بالاعدام اكتفى بابتسامة غامضة!•

وهنا أمر الباشا الشعبة الاولى بأن تعد جميع الاوراق المتعلقة بالجاسوس مع المستندات التي تثبت جاسوسيته ، لتقديمها الى الديوان الحربي العرفي مرفقة بالتقرير الذي وضعه (عارف بك ابراهيم) ، وما صادره عنده من آلة الارسال والوثائق التي تثبت جريمته !•

ثم أصدر امرا آخر بتشكيل الديوان الحربي العرفي لمحاكمة الرجل، وانصرف الى ادارة دفة الامور الحربية في الجبهة تاركا امر الرجل الى القضاء العسكري وهو واثق من ان جميع الادلة كافية لادانة الرجل والحكم عليه بالاعدام !•

● احتلال القدس

والى القراء الآن ملخص عن الموقف العسكري في فلسطين ، فقد كان الانكليز قبل اعتقال (آلتر ليفي) قد اخترقوا جبهة (فلسطين) واحتلوا المناطق الساحلية ، ففي فجر ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ هاجم العدو

الجبهة العثمانية في مستعمرة (عين بيراق) اليهودية التي يدافع عنها الفيلق الثامن ، وبعد معركة شديدة استمرت الى الساعة العاشرة من ذلك النهار ، تمكن العدو من اختراق الجبهة والتقدم الى الامام ، وفي الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم نفسه كانت طلائع قوات الانكليز قد دخلت (يافا) !.

وفي فجر ٢٢ تشرين الثاني هاجم الانكليز المواقع الامامية التي اقامها الفيلق العشرون للدفاع عن (القدس) ، وقد وجهوا هجومهم الى المراكز التركية الحصينة الممتدة من بيدو الى سوريق ، فصدتهم القوات العثمانية بعد معركة دامت من الساعة السادسة مساء الى الثامنة صباحا ، الا ان العدو عاد في الساعة العاشرة بقوات مضاعفة وتمكن من احتلال مرتفعات (النبي صموئيل) ونصب مدفعيته فيها وراح يمطر المراكز العثمانية بوابل من القنابل !.

وفي الوقت نفسه هاجم العدو الجبهة الامامية التي تدافع عنها الفرقة الرابعة والعشرون الا انه مني بالفشل .

ومع هذا فقد تمكنت قوات اخرى من خيالة العدو من مهاجمة (عناب) فاحتلتها بعد معركة استمرت ساعتين ، ثم تقدمت الى الامام لتعبر نهر (قالوني) ، ولكن نسف الترك للجسر فوق هذا النهر حال دون تقدمها في ذلك اليوم !

ثم توالت هجمات الانكليز على المراكز العثمانية حتى كان ليل ٨ ـ ٩ كانون الاول ، فجلت قوات العثمانيين عن (القدس) الى الشرق والشرق الشمالي من (القدس) ! وظلت هذه المدينة المقدسة خالية من الادارة العسكرية الى قرب ظهر اليوم التالي ، فدخلوها بفرقتين من المشاة الانكليز والفرقة ٤٧ الهندية والفرقة العاشرة الاوسترالية ، وفي اليوم التالي ، اي في العاشر من شهر كانون الاول سنة ١٩١٧ ، وصلت الى (القدس) من

(الرملة) فرقة الخيالة البريطانية ، وفي ١١ منه زحف قسم من هذه القوات الى الامام فطرد القوات العثمانية من (القدس) ، واضطر قيادة القوات العثمانية العامة الى نقل مقر القيادة الى (نابلس) !•

● مصير الجاسوس الخطير !

شملت الفوضى (القدس) يوم ٨ كانون الاول سنة ١٩١٧ ، لان الضربات المتوالية التي نزلت بالقوات العثمانية التابعة للجيشين الثامن والسابع المدافعين عن فلسطين ، جعلت امر المحافظة على الامن مستحيلة ، فقد هاجم الاهلون السجون واخرجوا المسجونين منها ، كما ان الفوضى ضربت اطنابها في المنطقة !•

وقد اهمل الجميع امر الجاسوس (آلتر ليفي) الا (عارف بك) الذي رأى ان سبب هذه الضربات هو هذا الرجل الذي كان يرقص على اشلاء الضحايا في سجنه وهو يترقب الفرص للنجاة ، ورأى من الخطر ان ينسحب من (القدس) ويترك هذا الرجل في سجنه فيتمكن الانكليز من اخلاء سبيله ، ولذا توجه بعد ظهر ٨ كانون الاول الى السجن وامره بان يستعد للذهاب معه ! وقد بوغت الرجل لرؤيته (عارف بك) بدل ان يرى احد انصاره الذين جاؤوا لانقاذه ، فاضطرب واظهر جبنه ، وخيل اليه ان ساعته الاخيرة قد دقت ! فراح يتوسل الى عارف بك راجيا العفو عن حياته، الا ان رئيس البوليس افهمه بصراحة تامة انه لا يقصد ايذاءه لانه ليس قاتلا سفاكا مثله ، الا انه لما كان مجرما خطيرا جاء يأخذه معه الى مقر القوات العثمانية ليلاقي جزاءه ويحول دون ارتكابه جرائم جديدة !•

ولما ادرك (آلتر ليفي) انه سقط في قبضة الرجل ، عاد يكرر نغمته السابقة محاولا اقناعه بضرورة اخلاء سبيله لقاء ما وعده به من المال، وقال له:

ـ ستسقط (القدس) بعد بضع ساعات في حوزة القوات الانكليزية. فهيا بنا الى منزلي فأعطيك العشرين الفا من الدولارات وتصبح ثريا !.

الا ان (عارف بك) رفض هذا المبلغ رفضا باتا ، وكان يستطيع ان يقبضه دون ان يقع تحت طائلة القصاص ، وساق الجاسوس الى احدى العربات ، ومضى به الى (اريحا) !

وفي (اريحا) ابرق الى القيادة يشعرها بما كان من امره مع الجاسوس، فأبلغ بضرورة احضاره الى (عمان) ، فسافر به اليها !.

الا ان الحالة في (عمان) كانت في ذلك الوقت مضطربة ، لان سقوط (القدس) في حوزة القوات الانكليزية ، وتشديد الثوار العرب في جهات (معان) هجومهم على المواقع العثمانية ، جعلا القيادة هناك تهمل امر الجاسوس ، ولا تسأل (عارف بك) عن الغاية من قدومه ، ولكن هذا الاخير خابر (علي فؤاد باشا) الذي انتقل الى (دمشق) ، وطالت هذه المخابرة الى ان ورد امر القيادة بوجوب الاتيان به الى دمشق !.



وفي اليوم الثالث من شهر شباط سنة ١٩١٨ ، اي بعد مشقات استغرقت زهاء شهرين ، وصل (عارف بك ابراهيم) يرافقه الجاسوس الى دمشق ، وفيها اضطر ايضا للانتظار مع الجاسوس منفردين مدة اسبوع واحد الى ان ورده امر رسمي من وكالة قيادة الجيش الرابع بضرورة تسليمه الى الديوان الحربي العرفي في (دمشق) ، ففعل ، وسلمه بموجب الامر وأخذ ايصالا رسميا من مستنطق الديوان الحربي بأنه استلم الجاسوس .

وهكذا انتهت مهمة (عارف بك) ، وانصرف المستنطق الى التحقيق مع الجاسوس ، وقد طال التحقيق واسفر عن خروج هذا الجاسوس من

السجن دون ان يرسل الى المحاكمة ! وبقي أمر خروجه من السجن سرا من الاسرار !.

● حقيقة ماجرى !

● وقد روى (عارف بك ابراهيم) ، فيما بعد ، الحقيقة عن اطلاق سراح الجاسوس !..

فقد قابل ، بعد اربعة اشهر من تسليمه للجاسوس ، الجاسوس نفسه يدخن النارجيلة في احد مقاهي (المرجة) بدمشق ... وقد اخبره الجاسوس الصهيوني ان محقق الديوان الحربي العرفي اطلق سراحه نظير اربعمائة ليرة ذهبية ، كما قام المحقق باتلاف كافة الوثائق ، وترك (آلتر ليفي) حرا طليقا يسرح ويمرح !.

وهكذا كان « ضمير » المحقق العثماني رخيصا الى درجة لا يتصورها عقل الانسان الشريف !.

●

التوزيع :
مكتبة الشواف
الرياض العليا - شارع الثلاثين
هاتف : ٤٦٢٢٦٦٧ /٤٦٢٢٦٣٠